نظرات فى الإسراء والمعراج
للنبى محمد صلى الله عليه وسلم

جمع وترتيب الدكتور
السيد عبد العليم عبد العال
تاريخ إسلامى

رقم الإيداع

٢٠٠٧ / ٢٣٧٧٧

الترقيم الدولى

I.S.B.N. 977 - 17 - 5224 - 3

هذا العمل لله تعالى ويسمح بطبعه ونشرة

٠١٠٢٢٧٢٧١٠

٠٤٨/٢٢٦٢٨٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

" وعلمك ما لم تكن تعلم وكان

فضلُ الله عليك عظيما "

" صدق الله العظيم "

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمــد لله رب العــالمين ، سابغ النعم ، دافع النقم ، فارج الغمم ، كاشف الظُلم ، أعدل من حكّم، حسيب من ظَلم ، وولى من ظُلم ، أول بلا بداية ، آخر بلا نهاية ، اسم بلا كناية ، أجعل لنا من أمرنا هذا فرجاً ومخرجاً يارب العالمين .

و أصــلى و أســلم عــلى ســيدنا و أستاذنا ومُعلمنا ومُعلم البشرية كلها – محمداً عبد الله ورسوله وصفية من خلقه وحبيبه ، وعلى آله و صحبه ومن إهتدى بهدية وسار على نهجه إلى يوم الدين .

إن معجــزة الإسراء و المعراج من المعجزات الشيقة الجديرة بالبحث و الاهتمام ، حيث كثر الكــلام حولهــا ، وفى هذا البحث آثرت التركيز على سهولة العبارة و الموضوعات التى كثر فيها الكلام و أفردت لكل ذىرأى رأيه ، وتركت القارئ ليختار الأصوب منها فى نظره .

وكان تقسيم البحث إلى ثلاثة أقسام ، القسم الأول جاء فيه :

مــا قــبل الإسراء و المعراج ، ومعجزة الإسراء و المعراج كما وردت فى صحيح البخارى ومسلم ، وكما أورده الحافظ بن كثير ، وكما ورد فى سيرة إبن هشام .

وتناول القسم الثانى : حديث تربوى لفضيلة الشيخ شلتوت " الإمام الأكبر " ، والاستفهام حول الإسراء كان بالروح فقط أو بالروح و الجسد ، ومصارعة الوهم فيمن قال إنه بالروح فقط وبيان طريق الحقيقة ، و أوصاف البراق .

وجاء فى القسم الثالث : ذكر المعراج ، ولمّا كان ليلاً ، وبيان بعض العجائب التى رآها النبى محمداً صلى الله عليه وسلم ، وفرضية الصلاة ، ورؤيته لربه و آراء العلماء فى ثبوت الرؤية، ومــا نستفيده من الرحلة ، وبعض خصائص النبى عليه السلام فى تلك الرحلة . ثم جاءت الخاتمة وأهم المراجع .

أسأل الله العلى القدير ، أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، و أن ينتفع به المسلمين فى كــل مكــان ، إنـــه وحده الذى تتم بفضله الصالحات فهو أكرم مأمول وأفضل مسئول وهو نعم المولى ونعم النصير.

الدكتور

السيد عبد الحليم عبد العال

كفر المصيلحة – غرة ربيع الأول ١٤٢٩

مارس ٢٠٠٨

معجزة الإسراء والمعراج

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[1] [الإسراء: ١]

الحق جل جلاله يخبرنا بأن محمداً ﷺ أسرى به ، وما دام الله هو الذى أسرى ، فإياك أن تقول كيف قطع المسافة وكيف صعد إلى السماء السابعة ؟ وكيف وصل إلى سدرة المنتهى؟

---

(١) قال الماوردى: أما قوله ﴿ سُبْحَانَ ﴾ ففيه تأويلان:

أحدهما: تنزيه الله تعالى من السوء، وقيل: بل نزه نفسه أن يكون لغيره فى إسراء عبده تأثير.

الثانى: معناه برأه الله تعالى من السوء، وقد قال الشاعر:

أقول لـمّا جاءنى فَخْرُهُ　　　سبحان مِنْ علقمةَ الفاخرِ

وهو ذكر تعظيم لله لا يصلح لغيره، وإنما ذكره الشاعر على طريق النادر، وهو من السبح فى التعظيم، وهو الجرى فيه إلى أبعد الغايات. وذكر أبان بن ثعلبة أنها كلمة بالنبطية «شبهانك».

وقد ذكر الكلبى ومقاتل: إن﴿ سُبْحَانَ ﴾ فى هذا الموضع بمعنى عجب، وتقدير الآية: عجب من الذى أسرى بعبده ليلاً، وقد وافق على هذا التأويل سيبويه وقطرب، وجعل البيت شاهداً عليه، وأن معناه: عجبٌ من علقمة الفاخر. ووجه هذا التأويل أنه إذا كان مشاهدة العجب سبباً للتسبيح صار التسبيح فقيل عجب، ومثله قول بشار:

تلقى بتسبيحة من حيثما انصرفت　　　وتستفزُّ حشا الرائى بإرعاد

وقد جاء التسبيح فى الكلام على أربعة أوجه:

أحدها: أن يستعمل فى موضع الصلاة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ [الصافات: ١٤٣] أى: من المصلين.

الثانى: أن يستعمل فى الاستثناء، كما قال بعضهم فى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ ﴾ [القلم: ٢٨] أى لولا تستثنون.

= **الثالث:** النور، للخبر المروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لأحرقت سبحات وجهه»[1] أى نور وجهه.

الرابع: التنزيه، روى عن النبى ﷺ أنه سئل عن التسبيح فقال: «تنزيه الله تعالى عن السوء».

وقوله تعالى: ﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾ أى بنبيه محمد ﷺ ، والسرى: سير الليل، قال الشاعر:

وليلة ذات ندًى سَرَيت ولم يلتنى مِنْ سُراها ليت

وقوله: ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعنى من الحرم، والحرم كله مسجد. وكان ﷺ حين أسرى به نائمًا فى بيت أم هانىء بنت أبى طالب، روى ذلك أبو صالح عن أم هانئ.

الثانى: أنه أسرى به من المسجد، وفيه كان حين أسرى به روى ذلك أنس بن مالك.

ثم اختلفوا فى كيفية إسرائه على قولين:

أحدهما: أنه أسرى بجسمه وروحه، روى ذلك ابن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو هريرة ، وحذيفة بن اليمان.

واختلف قائلو ذلك: هل دخل بيت المقدس وصلى فيه أم لا ؟

فروى أبو هريرة أنه صلى فيه بالأنبياء، ثم عرج به إلى السماء، ثم رجع به إلى المسجد الحرام فصلى فيه صلاة الصبح من صبيحة ليلته.

وروى حذيفة بن اليمان أنه لم يدخل بيت المقدس ولم يُصلّ فيه، ولا نزل عن البراق حتى عرج به، ثم عاد إلى مكة.

والقول الثانى: أن النبى ﷺ أسرى بروحه ولم يسر بجسمه، روى ذلك عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما فُقِدَ جَسَدُ رسول الله ﷺ، ولكن الله أسرى بروحه.

وروى عن معاوية قال: كانت رؤيا من الله تعالى صادقة، وكان الحسن يتأول قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠] أنها فى المعراج، لأن المشركين كذبوا ذلك، وجعلوا يسألونه عن بيت المقدس، وما رأى فى طريقه =

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم [١٧٩/٢٩٣] من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه.

الله سبحانه وتعالى هو الذى أسرى به، وما دام الفعل من الله لا يقاس بقوانين البشر، والفعل ينسب دائمًا إلى قوة الفاعل. فإن سافرت إلى الإسكندرية مثلاً سيرًا على الأقدام فإن الرحلة تستغرق ثلاثة أيام، فإذا كانت بالسيارة استغرقت ثلاث ساعات، أما إذا كانت بالطائرة تستغرق ثلاثين دقيقة.

إذًا .. فكلما زادت القوة قل الزمن، فإذا كان الله سبحانه وتعالى هو الذى أسرى فالله سبحانه قادر على فعل أى شىء فى لا زمن؛ لأن الفعل يأخذ قوته كما قلنا من الفاعل. ولقد أسرى الله سبحانه وتعالى برسوله

= فوصفه لهم، ثم ذكر لهم أنه رأى فى طريقه قعبًا مغطى مملوءًا ماء، فشرب الماء ثم غطاه كما كان، ثم ذكر لهم صفة إبل كانت لهم فى طريق الشام تحمل متاعًا، وأنها تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس، يقدمها جمل أورق؛ فخرجوا فى ذلك اليوم يستقبلونها، فقال قائل منهم: هذه والله الشمس قد أشرقت ولم تأت، وقال آخر: هذه والله العير يقدمها جمل أورق كما قال محمد. وفى هذا دليل على صحة القول الأول أنه أسرى بجسمه وروحه.

وقوله تعالى: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ يعنى: بيت المقدس، وهو مسجد سليمان بن داود عليهما السلام. وسمى الأقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام.

ثم قال تعالى: ﴿الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعنى بالثمار ومجارى الأنهار.

الثانى: بمن جعل حوله من الأنبياء والصالحين؛ ولهذا جعله مقدسًا.

وروى معاذ بن جبل عن النبى ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: يا شام أنت صفوتى من بلادى وأنا سائق إليك صفوتى من عبادى».

﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الآيات التى أراه فى هذا المسرى أن أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فى ليلة، وهى مسيرة شهر.

الثانى: أنه أراه فى هذا المسرى آيات.

وفيها قولان:

ليعطينا من الإسراء الدليل على صدق رسول الله ﷺ فى المعراج، فإن أحدًا منا لم يصعد إلى السماء ليرى ما فيها، فرواية رسول الله ﷺ عن المعراج يوجد عليها دليل مادى، ولكن الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى هو رحلة قام بها الكثيرون، فهم يعرفون عنها علمًا وخبرة ، فإذا ما روى لهم رسول الله ﷺ مشاهداته هذه الرحلة ، ويتقنوا من صدقه ﷺ ، صدقوا حديثه عن المعراج .

ولذلك نجد أن الذين عارضوا رسول الله ﷺ فى الإسراء والمعراج.. ماذا قالوا؟ الرسول ﷺ لما قال لهم : أُسرى بى إلى بيت المقدس، وعرج بى إلى سدرة المنتهى، وعدت فى ليلة واحدة، انقسموا قسمين: الذين يؤمنون بصدق الرسول ﷺ وأنه مبلغ عن الله تعالى قالوا: نصدقك فيما قلت، فأنت الصادق الأمين، وأنت المبلغ عن الله.

والذين لا يؤمنون بحثوا عن ثغرة لينشروا الضلال، قالوا له: أتدعى أنك أتيتها فى ليلة ونحن نضرب إليها أكباد الإبل شهرًا ؟!

وكان أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال: إن كان قال فقد صدق، وهذا هو صدق الإيمان.

= **أحدهما:** ما أراه من العجائب التى فيها اعتبار.

الثانى: من أرى من الأنبياء حتى وصفهم واحدًا واحدًا .

﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه وصف نفسه فى هذا الحال بالسميع والبصير، وإن كانتا من صفاته اللازمة لذاته فى الأحوال كلها؛ لأنه حفظ رسوله عند إسرائه فى ظلمة الليل، فلا يضر ألا يبصر فيها، وسمع دعاءه فأجابه إلى ما سأل، فلهذين وصف الله نفسه بالسميع البصير.

الثانى: أن قومه كذبوه عن آخرهم بإسرائه، فقال: ﴿ السَّمِيعُ ﴾ يعنى لما يقولونه من تصديق أو تكذيب، البصير لما يفعله من الإسراء والمعراج.

النكت والعيون [٣/ ٢٢٣ ـ ٢٢٧]

نعم . . إن ما قاله رسول الله ﷺ هو أمر مخالف للنواميس، ولكن كون الرسول ﷺ هوّ الذى قال ، فهذا هو الدليل على صدق ما حدث .

وعندما جاء غير المؤمنين يجادلون أبا بكر قال: أأصدقه فى خبر السماء وأكذبه فى هذا؟ . . مادام قال فقد صدق[1] . . كلام منطقى.

عندما أنكر غير المؤمنين أن يكون رسول الله ﷺ قد ذهب إلى بيت المقدس، وصعد إلى سدرة المنتهى، وعاد فى ليلة واحدة ، أعطى لهم أمارات مما رآه فى الطريق ، فأخبرهم عن العير القادمة ، ووصف لهم ما رآى . . إلخ، كل هذا الجدل أعطانا حجة إيمانية تنفعنا إلى يوم القيامة، ولو مر الإسراء والمعراج دون أن يتعرض له أعداء الدين، لكنا نجد اليوم من يزعمون أن رسول الله ﷺ رأى رؤيا ، وكنا لا نستطيع أن نرد على هؤلاء.

إذًا . . فأعداء الإسلام قالوها وشككوا فى معجزة الإسراء والمعراج، حتى يعطينا الله الحجة الإيمانية الدامغة، وتكون مهمة أعداء الدين هى تثبيت

---

(١) قال ابن هشام: ارتد كثير ممن كان أسلم، وذهب الناس إلى أبى بكر، فقالوا له: هل لك يا أبا بكر فى صاحبك؟ يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه، ورجع إلى مكة !! قال: فقال لهم أبو بكر: إنكم تكذبون عليه، فقالوا: بلى، ها هو ذاك فى المسجد يحدث به الناس، فقال أبو بكر: والله لئن كان قاله لقد صدق، فما يعجبكم من ذلك؟ فوالله إنه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبى الله أحدثت هؤلاء القوم أنك أتيت بيت المقدس هذه الليلة؟ قال: نعم، قال: يا نبى الله، فصفه لى، فإنى قد جئته، قال الحسن: فقال رسول الله ﷺ: «فرفع لى حتى نظرت إليه فجعل رسول الله ﷺ يصفه لأبى بكر، ويقول أبو بكر: صدقت، أشهد أنك رسول الله ﷺ، كلما وصف له منه شيئًا قال: صدقت، أشهد أنك رسول الله، قال: حتى إذا انتهى، فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر: «أنت يا أبا بكر الصديق» فيومئذ سماه الصديق.
سيره ابن هشام [٢ / ٦ ، ٧]

الإيمان.. لماذا ؟ لأنهم لو قال لهم رسول الله ﷺ أنه رأى فيما يرى النائم بأنه ذهب إلى بيت المقدس - ما كان أحد ليناقشه.. لماذا؟ لأن الإنسان فى الرؤيا يرى أشياء غريبة ولا أحد يناقشه فيها، ولكن كون أنهم كذبوه فإن هذا دليل على أنهم فهموا أن الذهاب بالجسد وليس مجرد رؤيا منامية[1].

إذاً .. فهذا التكذيب من الكفار قد نفعنا الآن لأنه حينما يأتى مجادل ليقول لنا: إن رسول الله ﷺ، رأى فى المنام أنه ذهب إلى بيت المقدس.. نقول له: أنت كاذب.. لو كانت هذه هى الحقيقة كما تزعم لما ناقش غير المؤمنين رسول الله ﷺ وما كذبوه.

❊ ❊ ❊

= والحديث صحيح، إسناده مرسل ، أخرجه الحاكم فى المستدرك [٣-/٦٢، -٦٣] من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها ، وصححه وأقره الذهبى

(١) قال الشوكانى: والذى دلت عليه الأحاديث الصحيحة الكثيرة هو ما ذهب إليه معظم السلف والخلف من أن الإسراء بجسده وروحه يقظة إلى بيت المقدس، ثم إلى السموات، ولا حاجة إلى التأويل وصرف هذا النظم القرآنى وما يماثله من ألفاظ الأحاديث إلى ما يخالف الحقيقة، ولا مقتضى لذلك إلا مجرد الاستبعاد وتحكيم محض العقول القاصرة عن فهم ما هو معلوم من أنه لا يستحيل عليه سبحانه شيء.

فتح القدير [٣/ ٢١٢]

وقال الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة: جمهور العلماء - سلفًا وخلفًا - على أن الإسراء والمعراج كانا فى ليلة واحدة، وأنهما كانا فى اليقظة بجسده وروحه ﷺ، وهذا هو الذى يدل عليه قوله تعالى فى مفتتح سورة الإسراء ﴿بِعَبْدِهِ﴾ إذ ليس ذلك إلا الروح والجسد. وقد تواردت على ذلك الأخبار الصحيحة المتكاثرة، والنصوص على ظواهرها ما لم يقم دليل على صرفها عن ظواهرها، وأنَّى هو؟

السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة [١/ ٤١٠]

هل كان لغير نبينا ــ صلى الله عليه وسلم ــ معراج

قال بعض العلماء : اثبات ذلك لا يكون الا بالنقل وليس فى الخبر ما يوجب القطع الا قوله تعالى فى قصة ابراهيم عليه السلام : **وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين (١) •**

قال بعض المفسرين :

ان ابراهيم حمل صخرة بيت المقدس ورفعت الصخرة فى الهواء حتى شاهد الملكوت •

وروى عن ابراهيم النخعى : فرجت له السموات السبع فنظر اليهن حتى انتهى الى العرش وفرجت له الأرضون فنظر اليهن ، ورأى مكانه فى الجنة •

وقال بعض العلماء أيضا : لم يرسل الله رسولا الى الخلق الا وكان له معراج ، على قدر رتبته ، ولكن لم يكن لأحد من الرسل فى معراجهم ما كان لنبينا ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الخصائص والرتب فى معراجه •

---

(١) الآية ٧٥ من سورة الانعام

ما قبل الإسـراء

الإسراء والمعراج يمثلان فصلا من السيرة النبوية العاطرة ، وقد سبقهما فصول مضيئة بنور الإيمان ، ومضاء العزيمة ، والإصرار على الجهاد لإعلاء كلمة الله ، وعندما ضاقت مكة بالمسلمين بدءوا يتطلعون إلى أوطان أخرى يجدون فيها السكينة والأمن والسلام ، وأرض الله واسعة ، وفي الحبشة ملك لا يضام من نزل أرضه ، فاتجهوا إلى هناك مهاجرين بدينهم ، فارين بعقيدتهم ، إلى حيث يجدون الأمن والقرار .

يقول ابن هشام نقلا عن ابن إسحاق : « فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا ، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم ، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه ، وجعل الإسلام يفشو في القبائل ، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بنى عبد المطلب ، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ، ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم » .

ولبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين ، واشتد عليهم البلاء والجهد ، وقطعوا عنهم الأسواق ، فلا يتركوا لهم طعاما يقدم مكة المكرمة ، ولا بيعا إلا بادروهم إليه فاشتروه ، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله ﷺ .

واشتد البلاء على المؤمنين ، وعلى بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، حتى كان الأطفال يتضاغون من شدة الجوع ، ولقد كانت المقاطعة – كما روى ابن إسحاق – كاملة ، تشمل كل العلاقات الاجتماعية ، ومايقوم عليها من أسس للمعيشة والحياة السوية .

وأظهر الله آياته ، فجاءت الأرضة ، وأكلت كل كلمة فيها اسم لله تعالى ، أو صفة من صفاته ، التي عاهدوا الله تعالى عليه أن تكون القطيعة دائمة ، وكأن الله تعالى ألهم الأرضة أن تعلمهم أن اسم الله تعالى لا يصح أن يكون في وثيقة ظلم وفسق عن أمر ربهم ، وقد أطلع الله تعالى محمدا ﷺ على مافعلت الأرضة بإلهام من الله رب العالمين .

وفي الوقت نفسه تشققت الرحمة من قلوب بعض الرجال في قريش ، فبعد أن مرت ثلاث سنين عاشها المسلمون في تلك القطيعة الكاملة ، تلاوم رجال من بطون قريش ، رأوا أنهم قد قطعوا الرحم ، واستخفوا بالحق ، فاجتمع أمرهم على نقض الصحيفة والبراءة مما جاء فيها ، والعمل على إخراج هؤلاء المحاصرين في الشعب إلى حياة الناس الكريمة ، بعد مالاقوا من الجهد والعنت والعناء .

قال ابن هشام : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب : ياعم إن ربي الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان ، فقال أبو طالب : أربك أخبرك بهذا ؟ قال النبي ﷺ : نعم . قال أبو طالب : فوالله مايدخل عليك أحد ..

ثم خرج أبو طالب إلى قريش ، فقال : يامعشر قريش ، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا ، فهلم صحيفتكم ، فإن كان كما قال ابن أخي فانتهوا عن قطيعتنا ، وانزلوا عما فيها ، وإن يكن كاذبا دفعت إليكم ابن أخي ، لتفعلوا به ما تشاءون .

واستمع القوم إلى مقالة أبي طالب وتأملوها ، ولم تصدق عقولهم القاصرة أن لهذا الدين ربا قادرا على حمايته ، فقالوا : رضينا بما تقول ياأبا طالب ، فتعاقدوا على ذلك ، فلئن كان محمد صادقا فيما يقول في أمر الأرضة ، فسيخرج هو والمؤمنون معه من ضيق الشعب إلى سعة الحياة وبراحها ، وإن كان غير ذلك فلقد رضي أبو طالب بأن يدفع إليهم ابن أخيه يفعلون به ما يشاءون .

وذهبوا إلى جوف الكعبة يبحثون عن صحيفتهم التى كتبوها ، وتعاقدوا عليها ، وكانت المفاجأة الحقيقية لهم أن يجدوا الأمر كما قال رسول الله ﷺ ، فقد أكلت الأرضة الصحيفة ، ولم تترك منها إلا اسم الله تعالى الذى كتبوه فيها « باسمك اللهم » وبدلا من الوفاء بما تعاهدوا عليه مع أبى طالب زادوا شرا ، وانقلبوا ناكثين للعهود ناقضين للعقود ، وهنا ظهرت رحمة الله فى صورة هؤلاء الرهط من قريش الذين تلاوموا فى أمر الصحيفة ورأوا أنهم بذلك قد قطعوا أرحامهم ، وتعاهدوا هم من جهة أخرى على نقض هذه الصحيفة الظالمة الجائرة ، ونقضت الصحيفة وخرج المسلمون من الشعب بعد أن فكت قريش حصارها ، وأذعنت لرأى الحكماء فيها .

وكما قال العرب قديما : رب ضارة نافعة ، فلقد كانت هذه المقاطعة سببا فى أن تسامع الناس بالإسلام ودعوته ، وانتشر بين العرب خبر ذلك النبى الذى أتى بدين جديد غير ما يعهدونه فى جزيرتهم ، ووصلت الدعوة المحمدية إلى القبائل فى كل أماكنهم القاصية والدانية ، فاهتدى منهم من اهتدى ، ودعا غيره إلى الهداية ، ومن لم يؤمن تحدث مع غيره مظهرا كفره بهذا الدين الذى ظهر ، وفى كلتا الحالتين علم بالدعوة من ارتضاها ومن لم يرتض بها ، وحملها الجميع ونشروها بينهم سواء كانوا من الراضين عنها المتبعين لها ، أم من المعرضين الشانئين المحاربين لله ورسوله .. فلقد كانوا كلهم ألسنة تتحدث بهذا النبأ الذى جعل الآلهة إلها واحدا ، ماله من شريك ولا ند ولا نظير ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

لقد انتهت السنون العجاف ، وذهبت أيام القطيعة ، ولكنها تركت أثرها فيما جاء بعدها من أيام ، إذ تلاها عام الحزن ، وياله من عام ، وتسميته بعام الحزن لم تكن إشفاقا من أحد ، ولكنها تسمية النبى ﷺ للعام الذى توفى فيه شيخ البطحاء أبو طالب بن عبد المطلب ، وأم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ، وقد كانت أبر زوج لأكرم زوج ، لذلك سمى النبى ﷺ ذلك العام عام الحزن لأنه فقد فيه حبيبين ، ولم ير بعدهما من يعوضه عنهما من ذوى صحبته وقرابته .

يقول ابن هشام نقلا عن ابن إسحاق : ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب

هلكا فى عام واحد ، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها ما يلاقيه ، فتخفف عنه من آلامه وتواسيه فى أحزانه .. وبهلك عمه أبى طالب ، وكان له عضدا وحرزا فى أمره ، ومنعة وناصرا على قومه ، وذلك قبل أن يهاجر إلى المدينة بثلاث سنين ، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى مالم تكن تطمع فيه فى حياة أبى طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش ، فنثر على رأسه ترابا ، ودخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته ، فجعلت تغسل عنه التراب وهى تبكى ، ورسول الله ﷺ يقول لها : لا تبكى يابنية فإن الله مانع أباك . ويقول بين ذلك : مانالت منى قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب .

وأمام هذا العنت والأذى كان لابد أن يتحرك الرسول بنفسه خارجا عن حدود مكة ، لعله يجد من قبائل العرب من يمد له يد النصرة والمساعدة ، فكانت رحلته إلى الطائف التى يحدثنا عنها ابن هشام فيقول : قال ابن إسحاق : ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى مالم تكن تنال منه فى حياة عمه أبى طالب ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة لهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ماجاءهم به من الله عز وجل ، فخرج إليهم وحده ، فجلس إليهم رسول الله ﷺ ، فدعاهم إلى الله ، وكلمهم بما جاء له من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه .. فقال له أحدهم : أما وجد الله أحدا يرسله غيرك ؟ وقال آخر : والله لا أكلمك أبدا .. لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ماينبغى لى أن أكلمك ، فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف . وقد قال لهم : إذ فعلتم مافعلتم فاكتموا عنى .. ولكنهم لم يفعلوا ، فأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع إليه الناس وألجأوه إلى حائط — بستان — لعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة . وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد إلى ظل حبلة — شجرة عنب — فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان مالقى من سفهاء أهل الطائف .

يقول ابن إسحاق : فلما اطمأن رسول الله ﷺ قال – فيما ذكر لى –
اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ياأرحم
الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد
يتجهمنى ؟ أم إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ،
ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ،
وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك ، أو يحل على
سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولاقوة إلا بك ..

ثم قدم رسول الله ﷺ إلى مكة ، وقومه أشد ماكانوا عليه من خلافه
وفراق دينه ، إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به ، فكان رسول الله ﷺ يعرض
نفسه فى المواسم على قبائل العرب ، يدعوهم إلى الله ، ويخبرهم أنه نبى
مرسل ، ويسألهم أن يصدقوه ، ويمنعوه حتى يبين لهم مابعثه الله به .

ونعود إلى موقفه ﷺ وهو عائد من الطائف ، وليس له من حمى إلا حمى
الله عز وجل ، وقد فاضت نفسه بذلك الدعاء الضارع ، فى صدق ويقين
بأنه « **إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى** » .

كان الدعاء حارا عميقا ، منبعثا من نفس مكلومة جريحة ، ولكنها راضية ،
وكيف لا ترضى وهى نفس سيد الخلق وخاتم الرسل الذى أوحى إليه ربه
فيما أوحى ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ . إنه دعاء نفس تقوم بأعظم
دعوة فى الوجود ، فيهون فى سبيلها كل أمر مهما كان عنيفا ، وكل شدة مهما
تكن بالغة ، فهو ﷺ ، يقبل ماقدره الله تعالى وما يرضاه ، ولا يهمه شىء
فى الوجود ، إلا أن يغضب عليه رب هذا الوجود ، ومادون ذلك يهون ..
و« **إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى** » .

وكانت جائزة هذه النفس الراضية أن يستجيب الله دعاءها ، ويبين لنبيه
أنه معه ، وفى أشد الأوقات ظلاما يضىء ذلك القلب النقى بالرضا ، ويأتيه
العون من رب الكون ، كما ترويه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، إذ قالت
لرسول الله ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟

قال – ﷺ – : مالقيت من قومك .. إذ عرضت نفسى على ابن عبد

بالليل ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام ، فناداني فقال : « إن الله قد سمع قول قومك لك ، وماردوا به عليك ، وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم » . ثم ناداني ملك الجبال فسلم على ثم قال : يامحمد ، قد بعثني الله إليك ، إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، قد بعثني إليك ربك لتأمرني ماشئت ، إن شئت فأطبق عليهم الأخشبين - جبلين بمكة المكرمة - فقال رسول الله ﷺ : « إنى لأرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً » .

لقد استجاب الله تعالى لدعاء نبيه ، وقد ذكر فى دعائه ضعف قوته ، وقلة حيلته ، وهوانه على الناس ، فبين الله تعالى له أنه يضع فى يده كل القوى ، وأنه لا يمكن أن يهون والله تعالى معه ، وأنه لم يتركه لعدو ولا لولى ، بل إن أمره عليه الصلاة والسلام إلى الله سبحانه ، وهو القاهر فوق عباده ، ومن كان معه القاهر فوق عباده فإنه لا يهون أبدا ، مهما خاض من غمرات ، أو لاق من صعوبات ، ولقد كان الله مع نبيه دائما ، ولئن ضاقت به الأرض فى بعض الأوقات فلتتسع له رحاب السموات ، فى ضيافة لم ينلها من قبله إنس ولا جان ، إلى هناك حيث سدرة المنتهى ولا منتهى ، ولنترك ابن هشام يذكر لنا ماورد فى هذه الرحلة من روايات .

وقبل أن يحملنا ابن هشام معه إلى هذه الرحلة العلوية ينبغى أن نجيب على سؤال مهم فى هذا البحث .. يقول : ماهو الإسراء ؟ وماهو المعراج ؟ فنقول :

« الإسراء : هو ذهاب الله بنبيه محمد ﷺ من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى فى مدينة القدس ، فى جزء من الليل ، ثم رجوعه إلى المسجد الحرام فى الليلة نفسها .

« والمعراج : هو صعوده ﷺ من بيت المقدس ، إلى السموات السبع ، وما فوقهن ، ثم رجوعه إلى بيت المقدس فى جزء من الليل .

ثم نطرح سؤالا آخر يقول : كيف ثبت الإسراء والمعراج ؟ .

ونجيب عن هذا السؤال قائلين :

– لقد ثبت الإسراء بالنص القرآنى الشريف ، وبالأحاديث النبوية الصحيحة التى سترد رواياتها فيما يلى من فصول هذا الكتاب .

أما القرآن ففى قوله تعالى ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾ .

وأما المعراج فهو ثابت بالأحاديث الصحيحة التى رواها الثقات العدول ، وتلقتها الأمة بالقبول ، ولو لم يكن إلا اتفاق صاحبى الصحيحين : البخارى ومسلم على تخريجها فى صحيحيهما لكفى ، فكيف وقد خرجها غيرهما من أصحاب الكتب الحديثية المعتمدة ، وكتب السير المشهورة ..

ويرى بعض العلماء أن المعراج ، وإن لم يثبت بالقرآن صراحة ولكنه أشير إليه فى سورة النجم فى قوله تعالى : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى ٭ عند سدرة المنتهى ٭ عندها جنة المأوى ٭ إذ يغشى السدرة مايغشى ٭ مازاغ البصر وما طغى ٭ لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾ .

فقد روى عن ابن مسعود ، وأم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنهما – أن المرئى هو جبريل عليه السلام ، رآه رسول الله ﷺ على هيئته التى خلق عليها ، ولم يره على هذه الحالة إلا مرتين : الأولى وهو نازل من غار حراء ، والثانية ليلة المعراج ، قال العلامة ابن كثير فى تفسيره ما ملخصه : وقد رأى النبى ﷺ جبريل عليه السلام على صورته التى خلقه الله عليها مرتين : الأولى عقب فترة الوحى ، والنبى نازل من غار حراء ، فرآه على صورته ، له ستمائة جناح ، قد سد عظم خلقه الأفق ، فاقترب منه ، وأوحى إليه عن الله عز وجل ماأوحى ، وإليه أشار الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ **علمه شديد القوى ٭ ذو مرة فاستوى ٭ وهو بالأفق الأعلى ٭ ثم دنا فتدلى ٭ فكان قاب قوسين أو أدنى ٭ فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ .

٭ ولنلاحظ هنا كما قال الشيخ محمد أبو شهبة : أن الضمير فى قوله « فأوحى » عائد على جبريل وهو الظاهر المقبول لأنه المتحدث عنه ، وقيل عائد على الحق تبارك وتعالى ، وهو بعيد مردود ، لما فيه من تفكيك النظم

الكريم . وأما الضمير فى « عبده » فهو راجع إلى الله سبحانه وتعالى فحسب . أى فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ماأوحى ، أو ، فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بوساطة جبريل عليه السلام .

● أما المرة الثانية التى رأى فيها النبى عليه الصلاة والسلام جبريل على هيئته التى خلقه الله بها ، فكانت ليلة الإسراء والمعراج عند سدرة المنتهى ، وهى المشار إليها فى سورة النجم ، بقوله تعالى ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى** ﴾ .

حديث الإسراء والمعراج
كما ورد فى صحيح البخارى

عن مالك بن صعصعة رضى الله عنهما ، أن نبى الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به، قال: بينما أنا فى الحطيم- وربما قال فى الحجر-- مضطجعاً- وفى بعض الروايات « بين النائم واليقظان - إذ أتانى آت فقدَّ - قال : وسمعته يقول ، فشق مابين هذه إلى هذه ، قال الراوى ، من ثغرة نحره إلى شعرته - فاستخرج قلبى ، ثم أُتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا ، فغسل قلبى ثم حشى ، ثم أعيد ، ثم أُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ، أبيض . قال الراوى - وهو البراق - يضع خطوه عند أقصى طرفه ، فحملت عليه ، فانطلق بى جبريل ، حتى أتى السماء الدنيا ، فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ؟ قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم .. قيل : مرحبا به فنعم المجىء جاء . ففتح ، فلما خلصت فإذا فيها آدم ، فقال : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحبا بالابن الصالح ، والنبى الصالح .

• ثم صعد بى حتى أتى السماء الثانية ، فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .. قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم .. قيل : مرحبا به فنعم المجىء جاء . ففتح . فلما خلصت إذا يحيى وعيسى ، وهما ابنا الخالة . قال : هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما ، فسلمت فردا ، ثم قالا : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بى إلى السماء الثالثة ، فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .. قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم .. قيل : مرحبا به فنعم المجىء جاء . ففتح ، فلما خلصت إذا يوسف . قال : هذا يوسف فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ، ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بى حتى السماء الرابعة فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل ومن معك ؟ قال : محمد . قيل وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم .. قيل : مرحبا به فنعم المجىء جاء . ففتح ، فلما خلصت إذا إدريس قال : هذا إدريس ، فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح ، والنبى الصالح .

ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة ، فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم .. قيل : مرحبا به فنعم المجىء جاء . فلما خلصت فإذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : من معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم .. قيل : مرحبا به فنعم المجىء جاء . فلما خلصت فإذا موسى . قال : هذا موسى ، فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح ، فلما تجاوزت بكى ، قيل له : مايبكيك ؟ قال : أبكى لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى .

ثم صعد بى إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به فنعم المجىء جاء . فلما خلصت فإذا إبراهيم . قال : هذا أبوك إبراهيم ، فسلم عليه .. فسلمت عليه ، فرد السلام ، فقال : مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح .

قال النبى ﷺ : ثم رفعت لى سدرة المنتهى ، فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال : هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار ، نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، فقلت : ماهذا ياجبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات .

ثم رفع لى البيت المعمور ، فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك

ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن ، وإناء من عسل ، فأخذت اللبن ، فقال : هى الفطرة التى أنت عليها وأمتك .

ثم فرضت على الصلوات ، خمسين صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت على موسى ، فقال : بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم . وإنى والله قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عنى عشرا ، فرجعت إلى موسى ، فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشرا ، فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشرا ، فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فرجعت فقال مثله ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم . فرجعت إلى موسى فقال : بم مرت ؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم .. قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإنى قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، قلت : سألت ربى حتى استحييت ، ولكن أرضى وأسلم .. قال : فلما جاوزت نادانى مناد : أمضيت فريضتى ، وخففت عن عبادى .

● وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ قال : هى رؤيا عين ، أريها النبى ﷺ ليلة أسرى به إلى بيت المقدس قال ﴿ **والشجرة الملعونة فى القرآن** ﴾ هى شجرة الزقوم .

● عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان أبو ذر رضى الله عنه يحدث أن النبى ﷺ قال : فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة ، فنزل جبريل عليه السلام ، ففرج صدرى ، ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا ، فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه . ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء الدنيا ، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء : افتح . قال : من هذا ؟ قال : جبريل . قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم ، معى محمد ﷺ ، فقال : أرسل إليه ؟ قال : نعم ..

يقول النبي ﷺ : فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة ، وعلى يساره أسودة ، إذا نظر قبل يمينه ضحك . وإذا نظر قبل شماله بكى ، فقال : مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح .. قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا آدم ، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله ، نسم بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله أهل النار . فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى .

حتى عرج بي إلى السماء الثانية ، فقال لخازنها : افتح . فقال له خازنها مثل ماقال الأول ففتح ، قال أنس : فذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم ، صلوات الله عليهم ، ولم يثبت كيف منازلهم ، غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا ، وإبراهيم في السماء السادسة ، قال أنس : فلما مر جبريل عليه السلام بالنبي ﷺ بإدريس ، قال : مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، فقلت : من هذا ؟ قال : هذا إدريس .. ثم مررت بموسى ، فقال : مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح .. قلت : من هذا ؟ قال : هذا موسى ، ثم مررت بعيسى فقال : مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، فقلت : من هذا ؟ قال : هذا عيسى . ثم مررت بإبراهيم ، فقال : مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح ، قلت : من ؟ قال : هذا إبراهيم ﷺ .

وكان ابن عباس ، وأبو حبة الأنصاري يقولان : قال النبي ﷺ : ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام .

قال أنس بن مالك ، قال النبي ﷺ : ففرض الله عز وجل على أمتي خمسين صلاة ، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى ﷺ ، فقال : مافرض الله لك على أمتك ؟ قلت : فرض خمسين صلاة ، قال : فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك .. فراجعت فوضع شطرها ، فرجعت إلى موسى ، قلت : وضع شطرها .. فقال : راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ، فراجعت فوضع شطرها ، فرجعت إليه فقال : ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فراجعته فقال : هي خمس وهي خمسون لا يُبدَّلُ القولُ لديَّ ، فرجعت إلى موسى ، فقال : ارجع إلى ربك . قلت : استحييت من ربي .

ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى ، وغشيها ألوان ما أدري ماهي ؟ ثم أدخلت الجنة ، فإذا فيها حبائل اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك

حديث الإسراء والمعراج

كما ورد فى صحيح مسلم

عن الإسراء برسول الله ﷺ والعروج به إلى السموات العلى أورد الإمام مسلم عشرين رواية نثبتها هنا نقلا عن كتاب « فتح المنعم ، شرح صحيح مسلم » للدكتور موسى شاهين لاشين ، ونتبعها بشروح مقتبسة من الكتاب نفسه فى فقه الحديث ..

١ – عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : أتيت بالبراق ، وهو دابة أبيض طويل ، فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، قال : فربطته بالحلقة التى يربط بها الأنبياء ، قال : ثم دخلت المسجد ، فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل – ﷺ – اخترت الفطرة .

ثم عرج بنا إلى السماء ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ فقال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ؟ ففتح لنا . فإذا أنا بآدم ، فرحب بى ، ودعالى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل عليه السلام ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .. قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه .. ففتح لنا ، فإذا أنا بابنى الخالة – عيسى ابن مريم ، ويحيى ابن زكرياء ، صلوات الله عليهما ، فرحبا ودعوا لى بخير ، ثم عرج بى إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه .. ففتح لنا ، فإذا أنا بيوسف ﷺ .. إذا هو قد أعطى شطرى الحسن ، فرحب بى ودعالى بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل .. قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .. قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا .. فإذا أنا بإدريس ، فرحب ، ودعا لى بخير ، قال الله عز وجل : ﴿ ورفعناه مكانًا عليًّا ﴾ .

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة ، فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل .. قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا بهارون – ﷺ – فرحب بى ، ودعالى بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة ، فاستفتح جبريل عليه السلام ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل .. قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .. قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بموسى ﷺ ، فرحب ودعالى بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل . فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا . فإذا أنا بإبراهيم – ﷺ – مسندا ظهره إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه .

ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى ، وإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال . قال : فلما غشيها من أمر الله ماغشى تغيرت ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ، فأوحى الله إلى ماأوحى ، ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، فنزلت إلى موسى ﷺ . فقال : مافرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة . قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك لا يطيقون ذلك . فإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم ، قال : فرجعت إلى ربى ، فقلت : يارب ، خفف على أمتى ، فحط عنى خمسا .. فرجعت إلى موسى ، فقلت : حط عنى خمسا .. قال : إن أمتك لايطيقون ذلك ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، قال : فلم أزل أرجع بين ربى – تبارك وتعالى – وبين موسى عليه السلام ، حتى قال : يامحمد ، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة ، لكل صلاة ، عشر ، فذلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرا ، ومن هم بسيئة

فلم يعملها لم تكتب شيئا ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة .

قال : فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ﷺ ، فأخبرته ، فقال : ارجع إلى ربك ، فاسأله التخفيف ، فقال رسول الله ﷺ ، فقلت : قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه .

٢ – وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : أُتيت ، فانطلقوا بى إلى زمزم . فشرح عن صدرى ، ثم غسل بماء زمزم ، ثم أنزلت .

٣ – وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان فأخذه ، فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده فى مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه – يعنى ظئره – فقالوا : إن محمدا قد قتل . فاستقبلوه وهو منتقع اللون ، قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره .

٤ – عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر ، قال : سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة ، أنه جاءه ثلاثة نفر ، قبل أن يوحى إليه ، وهو قائم فى المسجد الحرام ، وساق الحديث السابق بقصته ، وقدم فيه شيئا وأخر وزاد ونقص .

٥ – وعن أنس بن مالك ، قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال : فرج سقف بيتى ، وأنا بمكة ، فنزل جبريل ﷺ ، ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا ، فأفرغها فى صدرى ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدى ، فعرج بى إلى السماء ، فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل عليه السلام لخازن السماء الدنيا : افتح . قال : من هذا ؟ قال : هذا جبريل ، قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم .. معى محمد ﷺ . قال : فأرسل إليه ؟ قال : نعم ، ففتح ، قال : فلما علونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسودة ، وعن يساره أسودة ، فإذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى ، قال : فقال : مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح ، قال : قلت : ياجبريل من هذا ؟ قال : هذا آدم ﷺ ، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه ، فأهل اليمين أهل الجنة ، والأسودة

التى عن شماله أهل النار . فإذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى .

قال : ثم عرج بى جبريل ، حتى أتى السماء الثانية ، فقال لخازنها : افتح . قال : فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا . ففتح . فقال أنس ابن مالك : فذكر أنه وجد فى السموات آدم وإدريس ، وعيسى وموسى وإبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين . ولم يثبت كيف منازلهم ، غير أنه ذكر أنه قد وجد آدم عليه السلام فى السماء الدنيا ، وإبراهيم فى السماء السادسة ، قال : فلما مر جبريل ورسول الله ﷺ بإدريس صلوات الله عليه وسلامه قال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح ، قال : ثم مر ، فقلت : من هذا ؟ فقال : هذا إدريس . قال : ثم مررت بموسى عليه السلام فقال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح . قال : قلت : من هذا ؟ قال : هذا موسى . ثم مررت بعيسى ، فقال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح ، قلت : من هذا ؟ قال : هذا عيسى ابن مريم . قال : ثم مررت بإبراهيم عليه السلام ، فقال : مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح ، قال : قلت : من هذا ؟ قال : هذا إبراهيم .

٦ – قال ابن شهاب : وأخبرنى ابن حزم أن ابن عباس ، وأبا حبة الأنصارى كانا يقولان : قال رسول الله ﷺ : ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام . قال ابن حزم وأنس بن مالك : قال رسول الله ﷺ : ففرض الله على أمتى خمسين صلاة . قال : فرجعت بذلك حتى أمر بموسى ، فقال موسى عليه السلام : ماذا فرض ربك على أمتك ؟ قلت : فرض عليهم خمسين صلاة . قال لى موسى عليه السلام ، فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، قال : فراجعت ربى فوضع شطرها ، قال : فرجعت إلى موسى عليه السلام فأخبرته ، قال : راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك . قال : فراجعت ربى ، فقال : هى خمس ، وهى خمسون ، لا يبدل القول لدى . قال : فرجعت إلى موسى فقال : راجع ربك ، فقلت : قد استحييت من ربى .

قال : ثم انطلق بى جبريل حتى نأتى سدرة المنتهى ، فغشيها ألوان ، لا أدرى ماهى ؟ قال : ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك .

٧ - عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة قال : قال لى نبى الله ﷺ : بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان ، إذ سمعت قائلا يقول : أحد الثلاثة بين الرجلين ، فأتيت ، فانطلق بى ، فأتيت بطست من ذهب ، فيها من ماء زمزم ، فشرح صدري إلى كذا وكذا فاستخرج قلبى ، فغسل بماء زمزم ثم أعيد مكانه ، ثم حشى إيمانا وحكمة ، ثم أتيت بدابة أبيض يقال له : البراق . فوق الحمار ودون البغل ، يقع خطوه عند أقصى طرفه ، فحملت عليه ، ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الدنيا ، فاستفتح جبريل ﷺ ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . قال : ففتح لنا ، وقال : مرحبا به ولنعم المجيء جاء . قال : فأتينا على آدم ﷺ . وساق الحديث بقصته . وذكر أنه لقى فى السماء الثانية عيسى ويحيى عليهما السلام ، وفى الثالثة يوسف ، وفى الرابعة إدريس ، وفى الخامسة هارون ﷺ . قال : ثم انطلقنا ، حتى انتهينا إلى السماء السادسة ، فأتيت على موسى ، فسلمت عليه ، فقال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح . فلما جاوزته بكى . فنودى : مايبكيك ؟ قال : رب ، هذا غلام بعثته بعدى ، يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتى ، قال : ثم انطلقنا ، حتى انتهينا إلى السماء السابعة ، فأتيت إبراهيم .

وقال فى الحديث : وحدث نبى الله ﷺ ، أنه رأى أربعة أنهار ، يخرج من أصلها نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، فقلت : ياجبريل ، ماهذه الأنهار ؟ قال : أما النهران الباطنان فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات . ثم رفع لى البيت المعمور ، فقلت : ياجبريل ، ماهذا ؟ قال : هذا البيت المعمور ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه ، آخر ماعليهم .. ثم أتيت بإناءين ، أحدهما خمر والآخر لبن ، فعرضا علىّ فاخترت اللبن ، فقيل : أصبت ، أصاب الله بك ، أمتك على الفطرة ، ثم فرضت علىَّ كل يوم خمسون صلاة . ثم ذكر قصتها إلى آخر الحديث .

وزادت فى رواية « فأتيت بطست من ذهب . ممتلىء حكمة وإيمانا فشق من النحر إلى مراق البطن ، فغسل بماء زمزم ، ثم ملىء حكمة وإيماناً » .

٨ - عن أبى العالية قال : حدثنى ابن عم نبيكم ﷺ - يعنى ابن عباس

قال : ذكر رسول الله ﷺ حين أسرى به ، فقال : موسى آدم طوال ، كأنه من رجال شنوءة ، وقال : عيسى جعد مربوع ، وذكر مالكا خازن جهنم ، وذكر الدجال .

٩ – وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : مررت ليلة أسرى بى على موسى بن عمران عليه السلام ، رجل آدم طوال جعد ، كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى بن مريم مربوع الخلق ، إلى الحمرة والبياض ، سبط الرأس ، وأرى مالكا ، خازن النار ، والدجال فى آيات أراهن الله إياه ، فلا تكن فى مرية من لقائه . فسَّرها الراوى أن النبى ﷺ قد لقى موسى عليه السلام .

١٠ – وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر بوادى الأزرق ، فقال : أى واد هذا ؟ فقالوا : هذا وادى الأزرق . قال : كأنى أنظر إلى موسى عليه السلام هابطا من الثنية وله جؤار إلى الله بالتلبية .

ثم أتى على ثنية هرشى ، فقال : أى ثنية هذه ؟ قالوا : ثنية هرشى . قال : كأنى أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة ، عليه جبة من صوف ، خطام ناقته خلبة ، وهو يلبى .

١١ – وعن ابن عباس قال : سرنا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة ، فمررنا بواد ، فقال : أى واد هذا ؟ فقالوا : وادى الأزرق . فقال : كأنى أنظر إلى موسى ﷺ ، فذكر من لونه وشعره شيئا لم يحفظه داود – الراوى عن أبى العالية الراوى عن ابن عباس – واضعا أصبعيه فى أذنيه ، له جؤار إلى الله بالتلبية ، مارا بهذا الوادى . قال : ثم سرنا ، حتى أتينا على ثنية ، فقال : أى ثنية هذه ؟ قالوا : هرشى ، أو لفت ، فقال : كأنى أنظر إلى يونس على ناقة حمراء ، عليه جبة صوف ، خطام ناقته ليف خلبة مارا بهذا الوادى ملبيا .

١٢ – عن مجاهد قال : كنا عند ابن عباس فذكروا الدجال فقال : إنه مكتوب بين عينيه « كافر » ، قال : فقال ابن عباس : لم أسمعه قال ذاك ؛ ولكنه قال : أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم ، وأما موسى فرجل آدم جعد ، على جمل أحمر مخطوم بخلبة ، كأنى أنظر إليه إذا انحدر فى الوادى يلبى .

١٣ – وعن جابر أن رسول الله ﷺ قال : عُرض عليَّ الأنبياء ، فإذا موسى ضرب من الرجال ، كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام ، فإذا أقرب من رأيت به شبها عروة بن مسعود ، ورأيت إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه ، فإذا أقرب من رأيت به شبها صاحبكم – يعنى نفسه – ورأيت جبريل عليه السلام ، فإذا أقرب من رأيت به شبها دحية ، – وفى رواية « دحية بن خليفة » – .

١٤ – وعن أبى هريرة قال : قال النبى ﷺ : حين أسرى بى لقيت موسى عليه السلام ، فنعته النبى ﷺ ، فإذا رجل – حسبته قال – مضطرب ، رجل الرأس ، كأنه من رجال شنوءة . قال : ولقيت عيسى ، فنعته النبى ﷺ ، فإذا ربعة أحمر ، كأنما خرج من ديماس – يعنى حماما – قال : ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه ، وأنا أشبه ولده به ، قال : فأُتيتُ بإناءين ، فى أحدهما لبن وفى الآخر خمر ، فقيل لى : خذ أيهما شئت ، فأخذت اللبن ، فشربته ، فقال : هديت الفطرة – أو أصبت الفطرة – أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك .

١٥ – عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : أرانى ليلة عند الكعبة ، فرأيت رجلا آدم ، كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال ، له لمة ، كأحسن ما أنت راء من اللمم ، قد رجَّلها ، فهى تقطر ماء ، متكئا على رجلين أو على عواتق رجلين ، يطوف بالبيت ، فسألت : من هذا ؟ فقيل : هذا المسيح بن مريم ، ثم إذا أنا برجل جعد ، قطط أعور العين اليمنى ، كأنها عنبة طافية ، فسألت : من هذا ؟ فقيل : هذا المسيح الدجال .

١٦ – وعن عبد الله بن عمر قال : ذكر رسول الله ﷺ يوما بين ظهرانى الناس المسيح الدجال ؛ فقال : إن الله تبارك وتعالى ليس بأعور ، ألا إن المسيح الدجال أعور عين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية .

قال : وقال رسول الله ﷺ : أرانى الليلة فى المنام عند الكعبة ، فإذا رجل آدم ، كأحسن ما ترى من أدم الرجال ، تضرب لمته بين منكبيه ، رجل الشعر ، يقطر رأسه ماء ، واضعا يديه على منكبى رجلين ، وهو بينهما يطوف بالبيت ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : المسيح بن مريم ؛ ورأيت وراءه رجلا

جعدا قططا أعور عين اليمنى ، كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن ، واضعا يديه على منكبى رجلين ، يطوف بالبيت ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : هذا المسيح الدجال .

١٧ – عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : لما كذبتنى قريش ؛ قمت فى الحجر ، فجلا الله لى بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه .

١٨ – عن عبد الله بن عمر ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : بينما أنا نائم رأيتنى أطوف بالكعبة ، فإذا رجل آدم ، سبط الشعر ، بين رجلين ، ينطف رأسه ماء ، أو يهراق رأسه ماء – قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا ابن مريم ، ثم ذهبت ألتفت فإذا رجل أحمر جسيم جعد الرأس ؛ أعور العين ، كأن عينه عنبة طافية ، قلت : من هذا ؟ قالوا : الدجال ، أقرب الناس به شبها ابن قطن .

١٩ – عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : لقد رأيتنى فى الحجر ، وقريش تسألنى عن مسراى ، فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها ، فكربت كربة ماكربت مثله قط . قال : فرفعه الله لى . أنظر إليه ما يسألونى عن شىء إلا أنبأتهم به ، وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء ، فإذا موسى قائم يصلى ، فإذا رجل ضرب جعد ، كأنه من رجال شنوءة ، وإذا عيسى بن مريم عليه السلام قائم يصلى ، أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى ، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم – يعنى نفسه – فحانت الصلاة فأممتهم ، فلما فرغت من الصلاة قال قائل : يامحمد هذا مالك ، صاحب النار ، فسلم عليه ، فالتفت إليه ، فبدأنى بالسلام .

٢٠ – عن عبد الله قال : لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى ، وهى فى السماء السادسة ، إليها ينتهى ما يعرج به من الأرض ، فيقبض منها ، وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها ، فيقبض منها ، قال : إذ يغشى السدرة مايغشى ، قال : فراش من ذهب ، قال : فأعطى رسول الله ﷺ ثلاثا : أعطى الصلوات الخمس ، وأعطى خواتيم سورة البقرة ، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا المقحمات .

تلكم هي الروايات العشرون كما وردت فى صحيح مسلم ، يحدثنا الدكتور موسى شاهين لاشين عن فقهها ، فيقول :

بعد قراءة روايات هذا الحديث يجد القارىء نفسه أمام تساؤلات كثيرة : هل كان الإسراء والمعراج يقظة أو مناماً ؟ ومن أين بدأ ؟ وماسر اختيار بيت المقدس نهاية له ؟ وبداية للمعراج ؟ وما الحكمة فى كون وسيلته ركوب البراق ؟ وماحقيقة شق الصدر ؟ ومتى كان ؟ وماذا رأى من آيات ربه الكبرى فى إسرائه وفى معراجه ؟ وماحقيقة مارأى ؟ وماوجه اختصاص من ذكر من الأنبياء ؟ و لم كانت مراكزهم فى السموات كذلك ؟ وماذا نأخذ من الحديث من الأحكام والعبر ؟

أورد فضيلة الدكتور موسى لاشين هذه التساؤلات ، وهى تساؤلات لا يخلو ذهن مسلم من بعضها ، وجاءت إجابة الشيخ موضحة لها وزائدة عليها بحسب ما يقتضيه المقام فى شرح الحديث .. **فقال** - أطال الله عمره - .

• ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين إلى أن الإسراء والمعراج وقعا فى ليلة واحدة ، فى اليقظة ، بجسد النبى ﷺ وروحه ، بعد المبعث .

قال الحافظ ابن حجر : وتواردت على ذلك ظواهر الأخبار الصحيحة ، ولا ينبغى العدول عن ذلك ، إذ ليس فى العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل . ا هـ .

وذهب قليل من العلماء إلى أن الإسراء والمعراج كانا مناما ، تشبثا بقوله تعالى ﴿ **وماجعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ على أن المراد بها مارأى ليلة الإسراء ، والرؤيا بالقصر مايرى فى المنام ، وتشبثا ببعض الروايات التى يدل ظاهرها على أنه كان فى المنام . وهذا القول مردود من وجوه .

الأول : أنه ثبت أن قريشا كذبوه فى الإسراء ، واستبعدوا وقوعه ، ولو كان مناما لما كذبوه ، ولا استنكروه ، لجواز وقوع مثل ذلك وأبعد منه لآحاد الناس .

الثانى : أن الله تعالى ذكر الإسراء بصيغة التنزيه له والتعجيب للحادث ،

والتشريف لنبيه ، فقال : ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا** ﴾ ولو كان مناما لم يستحق ذلك .

الثالث : أن الله تعالى أثبت رؤيا القلب بقوله ﴿ **ماكذب الفؤاد مارأى** ﴾ ورؤيا العين بقوله ﴿ **مازاغ البصر وماطغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾ ، وأما قولهم أن الرؤيا بالقصر مختص برؤيا المنام ، فيمكن رد هذا الاستدلال عليهم بأن هذا الاستعمال هنا فى رؤيا العين دليل على أن هذا اللفظ ليس خاصا بالمنام .

ويقول الدكتور لاشين : إنهم قد استندوا إلى ظاهر بعض الروايات ، كرواية البخارى : « **بينا أنا عند البيت مضطجعا بين النائم واليقظان .. إذ أتانى** ... » إلخ .. أو رواية : « بينا أنا نائم » .. ويقرر فضيلته أن هذه الروايات محمولة على ابتداء الحال ، ثم صار إلى اليقظة الكاملة ﷺ .

* وذهب بعضهم إلى أن الإسراء والمعراج كانا بالروح لا بالجسد . وقالوا : ينبغى أن يعلم الفرق بين قولهم : كان الإسراء مناما . وقولهم : كان الإسراء بروحه دون جسده . فإن بينهما فرقا ، فإن الذى يراه النائم قد يكون حقيقة ، بأن تصعد الروح مثلا إلى السماء ، وقد يكون من ضرب المثل بأن يرى النائم ذلك ، وروحه لم تصعد أصلا ، فمعنى أسرى بروحه ولم يصعد بجسده ، أن روحه عرج بها حقيقة ، فصعدت ثم رجعت ، وجسده باق فى مكانه خرقا للعادة . اهـ .

قال الحافظ ابن حجر : وظاهر الأخبار الواردة فى الإسراء تأبى الحمل على ذلك ..

* وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن ذلك كله وقع مرتين : مرة فى المنام توطئة وتمهيدا ، ومرة ثانية فى اليقظة ، جمعا بين ظواهر ماورد ، وجوز بعض قائلى ذلك أن تكون قصة المنام وقعت قبل المبعث ، لما جاء فى بعض الروايات من قول الراوى « وذلك قبل أن يوحى إليه » .

وذهب جماعة إلى أن الإسراء كان فى اليقظة ، والمعراج كان فى المنام ،

أو أن الاختلاف فى كونه يقظة أو مناما خاص بالمعراج ، لا بالإسراء ، واستدلوا على ذلك بدليلين :

الأول : أن قريشا كذبوه فى الإسراء واستبعدوا وقوعه ، ولم يتعرضوا للمعراج ، ولو أنه أخبرهم بالمعراج يقظة لكان أولى بالتكذيب .

الثانى : أن الله تعالى ذكر الإسراء على وجه التنزيه والتعجيب والتشريف ، ولو أن المعراج وقع فى اليقظة لكان أبلغ فى الذكر ، فلما لم يقع ذكره فى هذا الموضع ، مع كون شأنه أعجب ، وأمره أغرب من الإسراء بكثير دل على أنه كان مناما .

وأجيب عن الأول باحتمال أنه ﷺ لما بادءوه بالتكذيب فى الإسراء لم يسترسل معهم بذكر المعراج ، أو أنه ذكره لهم ، لكن لم يقع منهم فى شأنه اعتراض ، لأن ذلك عندهم من جنس قوله : إن الملك يأتيه من السماء فى أسرع من طرفة عين . وكانوا يعتقدون استحالة ذلك ، لكنهم لا يجدون طريقا واضحا لتكذيبه ، بخلاف إخباره أنه جاء بيت المقدس فى ليلة واحدة ، ورجع ، فإنهم صرحوا بتكذيبه فيه ، وطلبوا منه نعت بيت المقدس ، لمعرفتهم به ، وعلمهم بأنه ما كان رآه قبل ذلك ، فأمكنهم استعلام صدقه فى ذلك ، بخلاف المعراج .

وعن الثانى بأنه لما كان الإسراء هو مناط التكذيب كان الجدير بالذكر للرد عليهم ، وإن كان المعراج أعجب .. والله أعلم .

« ولكن ماسر اختيار بيت المقدس غاية للإسراء ، وبداية للمعراج ؟ يقول فضيلة الدكتور الشيخ موسى شاهين لاشين : إن علم ذلك عند الله تعالى ، وما ذكره العلماء فى ذلك لا يمثل سرا أو حكمة ، لكنه تلمس واجتهاد لا بأس به ، نذكر منه ماقيل من أن باب السماء الذى يقال له : مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس ، فحصل الإسراء إليه قبل العروج ليحصل العروج مستويا من غير تعويج .

ولكن الحافظ ابن حجر يقول : بل كان المناسب أن يصعد من مكة ليصل إلى البيت المعمور ، والبيت المعمور حيال الكعبة ، فلا يصح أن يكون السر

عدم التعويج .

وقيل : الحكمة فى ذلك أن يجمع ﷺ فى تلك الليلة بين رؤية القبلتين ، وقيل : لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الأنبياء قبله ، فحصل له الرحيل إليه فى الجملة ، ليجمع بين أشتات الفضائل ، وقيل : لأنه محل الحشر ، وغالب ما اتفق له فى تلك الليلة يناسب الأحوال الأخروية ، فكان المعراج منه أليق بذلك .

وقيل : للتفاؤل بحصول أنواع التقديس له حسا ومعنى .

وقيل : ليجتمع بالأنبياء جملة .

وقيل : إرادة إظهار الله معاندة من يعارض ، لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلا إلى البيان والإيضاح ، فلما ذكر أنه أسرى به إلى بيت المقدس ، سألوه عن تعريفات جزئيات من بيت المقدس كانوا قد رأوها ، وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك ، فلما أخبرهم بها حصل التحقق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس فى ليلة ، وإذا صح خبره فى ذلك لزم تصديقه فى بقية ماذكره ، فكان ذلك زيادة فى إيمان المؤمن ، وزيادة فى شقاء الجاحد .

يقول الدكتور موسى : كل هذا يمكن أن يكون بعض الحكمة ، وكلها تلمس كالورد يشم ولا يدعك .. والله أعلم .

• ولكن أليس الله سبحانه وتعالى ، قادرا على أن يطوى الأرض لنبيه ﷺ ، فينتقل من مكة إلى بيت المقدس فى طرفة عين ، دون الاستعانة بركوب البراق الذى جاء وصفه فى الحديث ؟

• لقد كان ركوب البراق وصحبة جبريل عليه السلام نوعاً من المؤانسة للنبى ﷺ ، لأن العادة جرت بأن الملك إذا استدعى من يحبه يبعث إليه بما يركبه .. ولقد خص البراق بذلك إشارة إلى الاختصاص به ، لأنه لم ينقل أن أحدا ملكه ، بخلاف غير جنسه من الدواب ، وقد كانت القدرة صالحة أن يصل ﷺ إلى بيت المقدس من غير براق ، لكن ركوب البراق كان زيادة فى تشريفه ، لأنه لو وصل بنفسه لكان فى صورة ماش ، والراكب أعز من الماشى .

هذا ، وقد وردت روايات عن شق صدره ﷺ ، فلم كان ذلك ، ومتى كان ؟

إن الرواية الثانية لم تبين متى كان ، أما الرواية الثالثة فهى صريحة وواضحة فى أنه حصل وهو غلام صغير يلعب مع الغلمان فى بنى سعد .. وثبت شق الصدر أيضا عند البعثة ، والرواية الخامسة تفيد أنه حصل ليلة المعراج ، والرواية السابعة تفيد أنه حصل ليلة الإسراء ، ولا منافاة بين الرواية الخامسة والرواية السابعة ، غاية الأمر أن فى سياق الخامسة حذفا ، وأصلها .. « فأفرغها فى صدرى .. ثم أطبقه .. ثم أتيت بدابة أبيض .. حتى وصلنا إلى بيت المقدس .. ثم أخذ بيدى ، فعرج بى إلى السماء » إلخ .. فالشق ليلة الإسراء هو الشق ليلة المعراج ، بناء على أنهما كانا فى ليلة واحدة .

وقد أراد الحافظ ابن حجر أن يجمع بين الروايات السابقة فقال : وقع الشق ثلاث مرات ، ولكل منها حكمة ، فالأول وقع فى زمن الطفولة ، فأخرج من الصدر علقة ، وقال : هذا حظ الشيطان منك ، فنشأ ﷺ ، على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ، ثم وقع الشق عند البعث زيادة فى إكرامه ليتلقى مايوحى إليه بقلب قوى ، فى أكمل الأحوال من التطهير ، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة ، ويحتمل أن تكون الحكمة فى هذا الغسل الأخير أن تقع المبالغة فى الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر فى شرعه ﷺ .

ثم قال الحافظ ابن حجر : وجميع ما ورد من شق الصدر ، واستخراج القلب ، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة ، مما يجب التسليم به ، دون التعرض لصرفه عن حقيقته ، لصلاحية القدرة ، فلا يستحيل شىء من ذلك . ثم نقل عن القرطبى قوله فى المفهم : لا يلتفت لإنكار الشق ليلة الإسراء ، لأن رواته ثقات مشاهير .. ا هـ .

ويؤيد أن الشق على الحقيقة قول أنس فى الرواية الثالثة : « وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره » ﷺ .

* * *

ونعود إلى قوله تعالى « لنريه من آياتنا » فماذا رأى ﷺ من آيات ربه الكبرى فى رحلته من مكة إلى بيت المقدس ومن بيت المقدس إلى السموات العلا .

إن العلماء لم يتركوا هذا السؤال بلا إجابة فقد وردت فى ذلك أحاديث كثيرة نذكر منها :

ماروراه الطبرانى والبزار عن أبى هريرة أنه ﷺ « مر بقوم يزرعون ويحصدون، كلما حصدوا عاد كما كان، قال جبريل: هؤلاء هم المجاهدون، ومر بقوم ترضخ رءوسهم بالصخر ، كلما رضخت عادت . قال : هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة ، ومر بقوم على عوراتهم رقاع يسرحون كالأغنام . قال : هؤلاء الذين لا يؤدون الزكاة ، ومرة بقوم يأكلون لحما نيئا خبيثا ، ويدعون لحما نضيجا طيبا . قال : هؤلاء الزناة ، ومر برجل جمع حزمة حطب لا يستطيع حملها ، ثم هو يضم إليها غيرها ، قال : هذا الذى عنده الأمانة لا يؤديها ، وهو يطلب أخرى . ومر بقوم تقرض ألسنتهم وشفاههم ، كلما قرضت عادت . قال : هؤلاء خطباء الفتنة . ومر بثور عظيم يخرج من ثقب صغير ، ثم يريد أن يرجع فلا يستطيع ، قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة ، فيندم ، فيريد أن يردها فلا يستطيع » .

• أما البيهقى فيقول فى الدلائل رواية عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ : « مر بشىء يدعوه ، متنحيا عن الطريق ، فقال له جبريل : سر ، وأنه مر على عجوز ، فقال : ماهذه ؟ فقال : سر ، وفى آخره : « فقال : [illegible] دعاك إبليس ، والعجوز الدنيا » .

• وعند الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى أمامة : « ثم مر بقوم بطونهم أمثال البيوت، كلما نهض أحدهم خر ، وأن جبريل قال له: هم أكلو [illegible] ، وأنه مر بقوم مشافرهم كالإبل ، يلتقمون حجرا ، فيخرج من أسافلهم ، وأن جبريل قال له : هؤلاء أكلة أموال اليتامى » .

يقول الشيخ موسى لاشين : وعندى ، أن هذه الأحاديث - إن صحت - هى تصوير للترغيب أو للترهيب ، وربما كانت صورة لما سيحدث فى الآخرة

من هيئة الأجر أو العقاب ، وليست أمورا واقعية ، وعدها من قبيل آياته الكبرى لا يخلو من تسامح ..

أما الآيات الحقيقية فيمكن أن يكون منها :

١ - شق صدره ﷺ ، وقد سبق الحديث عنه .

٢ - والبراق ، وسرعته .

٣ - والمعراج واختراقه .

٤ - ورؤيته البيت المعمور .

٥ - ولقاؤه مالكا خازن النار .

٦ - ومن الآيات الكبرى رؤيته ﷺ سدرة المنتهى ، والرواية الأولى تشبه ورقها بآذان الفيلة ، وثمرها بالقلال . وتبهم وتفخم مايغشاها من أمر الله ، حتى أن أحدا من خلق الله لا يستطيع أن ينعتها لحسنها ، والرواية العشرون تفسر مبهم الرواية الأولى بأنه يغشاها فراش من ذهب .

٧ - ومن الآيات الكبرى رؤيته ﷺ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وفيها- غير ماورد فى الروايات التى ذكرناها - ما جاء عند البيهقى فى حديث أبى سعيد « فدخلت أنا وجبريل بيت المقدس ، فعرفت النبيين من بين قائم وراكع وساجد ، فصلى كل واحد منا ركعتين ، ثم أقيمت الصلاة فأممتهم » .

وعند أبى حاتم « فلم ألبث إلا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير ، ثم أذن مؤذن ، فأقيمت الصلاة ، فقمنا صفوفا ، ننتظر من يؤمنا ، فأخذ بيدى جبريل ، فقدمنى ، فصليت بهم » .

ومما هو غنى عن البيان أن الهدف من هذا اللقاء وهذا الاستقبال هو الترحيب والتكريم والتشريف .

ولكن .. لماذا كان موسى عليه السلام هو الذى ينصح النبى ﷺ بمراجعة ربه فى شأن الصلاة ؟

أراد بعض العلماء تبرير ذلك ، رغم أن من المحدثين من ينكر هذا ويعتبره من الإسرائيليات التى تزعم الوصاية من موسى عليه السلام ، فيتقدم بالنصيحة إلى محمد ﷺ لطلب التخفيف عن أمته .

ذكر الإسـراء
كما ورد فى سيرة ابن هشام

قال ابن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : ثم أسرى برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس من إيلياء ، وقد فشا الإسلام بمكة فى قريش ، وفى القبائل كلها .

قال ابن إسحاق : كان من الحديث فيما بلغنى عن مسراه ﷺ ، عن عبد الله بن مسعود ، وأبى سعيد الخدرى ، وعائشة زوج النبى ﷺ ، ومعاوية بن أبى سفيان ، والحسن بن أبى الحسن البصرى ، وابن شهاب الزهرى ، وقتادة ، وغيرهم من أهل العلم ، وأم هانىء بنت أبى طالب ، ما اجتمع فى هذا الحديث ، كما يحدث عنه بعض ماذكر من أمره حين أسرى به ﷺ ، وما كان فى مسراه ، وماذكر عنه من بلاء وتمحيص ، وأمر من الله عز وجل فى قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق ، وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين ، فأسرى به سبحانه وتعالى كيف شاء ليريه من آياته ما أراد ، حتى عاين ماعاين ، من أمره وسلطانه العظيم ، وقدرته التى يصنع بها مايريد .

ويبدأ ابن هشام فى تفصيل هذه الروايات ، فيذكر لنا كل رواية على حدة ، كما يرويها صاحبها عما عرفه من ذكر الإسراء والمعراج .

١ – رواية عبد الله بن مسعود : قال :

كان عبد الله بن مسعود فيما بلغنى عنه يقول : أُتىَ رسول الله ﷺ بالبراق – وهى الدابة التى كانت تحمل عليها الأنبياء قبله – تضع حافرها فى منتهى طرفها ، فحمل عليها ، ثم خرج به صاحبه ، يرى الآيات فيما بين السماء والأرض ، حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم الخليل

وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء قد جمعوا له ، فصلى بهم ، ثم أُتِىَ بثلاثة آنية : إناء فيه لبن ، وإناء فيه خمر ، وإناء فيه ماء . قال : فقال رسول الله ﷺ : فسمعت قائلا يقول حين عرضت علىَّ : إن أخذ الماء غرق وغرقت أمته ، وإن أخذ الخمر غوى وغوت أمته وإن أخذ اللبن هدى وهديت أمته . قال : فأخذت إناء اللبن ، فشربت منه ، فقال لى جبريل عليه السلام : هديت ، وهديت أمتك يا محمد .

٢ – رواية الحسن :

قال ابن إسحاق : وحدثت عن الحسن أنه قال : قال رسول الله ﷺ : بينا أنا نائم فى الحجر ، إذ جاءنى جبريل فهمزنى بقدمه ، فجلست فلم أر شيئا ، فعدت إلى مضجعى ، فجاءنى الثانية فهمزنى بقدمه ، فجلست فلم أر شيئا ، فعدت إلى مضجعى ، فجاءنى الثالثة فهمزنى بقدمه فجلست فأخذ بعضدى فقمت معه ، فخرج بى إلى باب المسجد ، فإذا دابة أبيض بين البغل والحمار ، فى فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه ، يضع يده فى منتهى طرفه ، فحملنى عليه ، ثم خرج معى ، لا يفوتنى ولا أفوته .

٣ – رواية قتادة :

يقطع ابن إسحاق رواية الحسن ليحدثنا عن قتادة أنه قال : حدثت أن رسول الله ﷺ ، قال : لما دنوت منه لأركبه شمس – أى حرن – فوضع جبريل يده على معرفته ، ثم قال : ألا تستحى يابراق مما تصنع ، فوالله ماركبك عبد لله قبل محمد ، أكرم عليه منه ، قال : فاستحيا حتى ارفض عرقا .. ثم قر حتى ركبه .

٤ – ويعود ابن إسحاق إلى رواية الحسن يقول :

قال الحسن فى حديثه : فمضى رسول الله ﷺ ، ومضى جبريل عليه السلام معه ، حتى انتهى به إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء ، فأمهم رسول الله ﷺ ، فصلى بهم ، ثم أتى بإناءين ، فى أحدهما خمر ، وفى الآخر لبن ، قال : فأخذ رسول الله ﷺ إناء اللبن فشرب منه ، وترك إناء الخمر ، قال : فقال له جبريل : هديت

للفطرة . وهديت أمتك يامحمد ، وحرمت عليكم الخمر ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة ، فلما أصبح غدا على قريش فأخبرهم الخبر ، فقال أكثر الناس : هذا والله الإمر -- أى الشىء العجيب -- البين . والله إن العير لتطرد شهرا من مكة إلى الشام مدبرة ، وشهرا مقبلة ، أفيذهب ذلك محمد فى ليلة واحدة ، ويرجع إلى مكة ؟ قال : فارتد كثير ممن كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبى بكر فقالوا له : هل لك ياأبا بكر فى صاحبك ، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ورجع إلى مكة .

فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ، فقالوا : بلى ، هاهو ذاك فى المسجد يحدث به الناس ، فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق .. فما يعجبكم فى ذلك ؟ فوالله إنه ليخبرنى أن الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه . ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يانبى الله ، أحدثت هؤلاء القوم ، أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم .. قال : يانبى الله فصفه لى .. فإننى قد جئته ، قال الحسن : فقال رسول الله ﷺ : فرفع لى حتى نظرت إليه -- فجعل رسول الله ﷺ يصفه لأبى بكر ، ويقول أبو بكر صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، كلما وصف له منه شيئا قال : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، حتى إذا انتهى قال رسول الله ﷺ لأبى بكر : وأنت يا أبا بكر الصديق .. فيومئذ سماه الصديق ..

قال الحسن : وأنزل الله تعالى فيمن ارتد عن إسلامه لذلك ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس ، والشجرة الملعونة فى القرآن ، ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا** ﴾ .

فهذا حديث الحسن عن مسرى رسول الله ﷺ ، وما دخل فيه من حديث قتادة ، وتبقى أحاديث أخرى بعضها ينفى إسراء النبى ﷺ بجسده ، كما ورد فى حديث عائشة ومعاوية رضى الله عنهما ..

٥ -- رواية عائشة أم المؤمنين

قال ابن إسحاق : وحدثنى آل أبى بكر ، أن عائشة زوج النبى ﷺ كانت تقول : مافقد جسد رسول الله ﷺ ، ولكن الله أسرى بروحه .

٦ – رواية معاوية رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية ابن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال : كانت رؤيا من الله تعالى صادقة .

٧ – هل كان الإسراء رؤيا ؟

لم ينكر ابن إسحاق قول عائشة ولا قول معاوية رضى الله عنهما ، لقول الحسن . إن هذه الآية نزلت فى ذلك ، قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وماجعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ ولقوله تعالى فى الخبر عن إبراهيم عليه السلام إذ قال لابنه : ﴿ **يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك** ﴾ . ثم مضى على ذلك ، فعرفت أن الوحى من الله يأتى الأنبياء أيقاظا ونياما .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ – فيما بلغنى – يقول : تنام عيناى وقلبى يقظان ، والله أعلم أى ذلك كان قد جاءه ، وعاين فيه ماعاين ، من أمر الله ، على أى حاليه كان نائما أو يقظان ، كل ذلك حق وصدق .

٨ – رواية أم هانىء رضي الله عنها

قال محمد بن إسحاق : وكان فيما بلغنى عن أم هانىء بنت أبى طالب رضى الله عنها ، واسمها هند ، فى مسرى رسول الله ﷺ ، أنها كانت تقول : ما أسرى برسول الله ﷺ إلا وهو فى بيتى ، فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله ﷺ ، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال : ياأم هانىء ، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى ، ثم جئت بيت المقدس ، فصليت فيه ، ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين . ثم قام ليخرج فأخذت بطرف ردائه فتكشف عن بطنه كأنه قبطية مطوية ، فقلت له : يانبى الله ، لاتحدث الناس بهذا فيكذبوك ، ويؤذوك . قال : والله لأحدثنهموه ، قالت : فقلت لجارية لى حبشية : ويحك ، اتبعى رسول الله ﷺ حتى تسمعى ما يقول للناس ، وما يقولون له . فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الناس أخبرهم ، فعجبوا وقالوا : ماآية ذلك يامحمد ؟ فإنا لم نسمع بمثل هذا قط !! قال : آية ذلك أنى مررت بعير

بني فلان بوادى كذا وكذا ، فأنفرهم حس الدابة ، فند لهم بعير فدللتهم عليه ، وأنا متوجه إلى الشام . ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان مررت بعير بني فلان ، فوجدت القوم نياما ، ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء ، فكشفت غطاءه ، وشربت مافيه ، ثم غطيت عليه كما كان ، وآية ذلك أن عيرهم الآن يصوب من البيضاء ، ثنية التنعيم ، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان ، إحداهما سوداء والأخرى برقاء .

قالت : فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل كما وصف لهم ، وسألوهم عن الإناء فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءا ماء ، ثم غطوه ، وأنهم هبوا فوجدوه مغطى كما كان ، ولم يجدوا فيه ماء . وسألوا الآخرين وهم بمكة ، فقالوا : صدق والله ، لقد أنفرنا فى الوادى الذى ذكر ، وند لنا بعير ، فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه ، حتى أخذناه .



مع الحافظ ابن كثير

انتهت روايات ابن هشام في سيرته والبخاري في صحيحه ، ومسلم في صحيحه ، وملخص لتعليقات على ما ورد في تلك الروايات ، وبقى ما يقوله المفسرون ، ونختار منه تعليقاً للإمام الجليل عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، فلقد أورده في تفسيره ما يزيد على خمس عشرة رواية ، لا تخرج عما ذكرناه ، وفي إيرادها هنا زيادة تكرار قد يمله القارىء ـ لذلك نكتفي بإيراد تعليق له أخير على الروايات التي ذكرها . . إذ يقول :

وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث ، صحيحها ، وحسنها ، وضعيفها ، يحصل ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ﷺ ، من مكة إلى بيت المقدس ، وأن هذا الإسراء كان مرة واحدة ، وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه ، أو زاد بعضهم فيه ، ونقص منه ، فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياء عليهم السلام ، ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى ـ مرة على حدة ، فأثبت إسراءات متعددة ، فقد أبعد وأغرب ، وهرب إلى غير مهرب ، ولم يتحصل على مطلب ، وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه الصلاة والسلام أسرى به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط ، ومرة من مكة إلى السماء ، وفرح القائلون بهذا المسلك ، وظنوا أنهم قد ظفروا بشيء يخلصون به من الإشكالات المتعددة ، وهذا بعيد جداً ، ولم ينقل هذا عن أحد من السلف ، ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبي ﷺ به أمته . . ولنقله الناس على التعدد والتكرار .

قال موسى بن عقبة عن الزهري : كان الإسراء قبل الهجرة بسنة ، وكذا قال عروة ، وقال السدى بستة عشر شهراً ، والحق أنه عليه الصلاة والسلام أسرى به يقظة لا مناما ، من مكة إلى بيت المقدس ، راكباً البراق ، فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة ، عند الباب ، ودخله فصلى في قبلته تحية المسجد ركعتين ، ثم أتى بالمعراج ، وهو كالسلم ، ذو درج يرقى فيها ، فصعد فيه

إلى السماء الدنيا ، ثم إلى بقية السموات السبع ، فتلقاه من كل سماء مقربوها ، وسلم على الأنبياء الذين في السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم حتى مر بموسى الكليم في السادسة ، وإبراهيم في السابعة ، ثم جاوز منزلتيهما ﷺ وعليهما ، وعلى سائر الأنبياء حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام ، أي أقلام القدر بما هو كائن ، ورأى سدرة المنتهى ، وغشيها من أمر الله تعالى عظمة عظيمة ، فراش من ذهب ، وألوان متعددة ، وغشيتها الملائكة ، ورأى هناك جبريل على صورته ، وله ستمائة جناح ، ورأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق ، ورأى البيت المعمور ، وإبراهيم الخليل باني الكعبة الأرضية ، مسنداً ظهره إليه ، لأنه الكعبة السماوية *، يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ، يتعبدون فيه ، ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة . . ورأى الجنة والنار ، وفرض الله عليه هنالك الصلوات خمسين ، ثم خففها إلى خمس رحمة منه ولطفاً بعباده ، وفي هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها ، ثم هبط إلى بيت المقدس ، وهبط معه الأنبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة ، ويحتمل أنها الصبح من يومئذ ، ومن الناس من يزعم أنه أمهم في السماء ، والذي تظاهرت به الروايات أنه صلى بهم في بيت المقدس قبل العروج إلى السماء ، والظاهر أنه بعد رجوعه إليه ، لأنه لما مر بهم في منازلهم جعل يسأل جبريل عنهم واحداً واحداً ، وهو يخبرهم بهم .

* يستنتج الإمام ابن كثير أنه لو كان النبي ﷺ صلى بالأنبياء في بيت المقدس قبل الصعود إلى السماء لما كان في حاجة إلى أن يسأل عنهم جبريل بعد ذلك ، لأنه يكون قد عرفهم عند استقبالهم له ، وسؤاله عنهم دليل على أنه لم يعرفهم ، وأنهم لم يستقبلوه في بيت المقدس ، ولم يصل بهم أول وصوله إليه . . وإنما صلى بهم - إذا صحت رواية صلاته بهم - بعد نزوله إلى بيت المقدس عندما انتهت رحلة المعراج . . وكأن صلاته بهم كانت حفلة توديع لا استقبال ، كما تظاهرت الروايات عليه . . يقول ابن كثير : وهذا هو اللائق لأنه كان أولاً مطلوباً إلى الجناب العلوي ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى ، ثم لما فرغ من الذي أريد به اجتمع هو وإخوانه من النبيين ، ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه في الإمامة ، وذلك عند إشارة جبريل عليه السلام في ذلك .

ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق ، وعاد إلى مكة بغلس ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وأما عرض الآنية عليه من اللبن والعسل ، أو اللبن والماء ، أو اللبن والخمر ، أو الجميع ، فقد ورد أنه في بيت المقدس ، وجاء أنه في السماء ، ويحتمل أن يكون هاهنا وهاهنا ، لأنه كالضيافة للقادم . . والله أعلم .

ويستطرد الإمام ابن كثير قائلاً :

ثم اختلف الناس ، هل كان الإسراء ببدنه عليه الصلاة والسلام وروحه ، أو بروحه فقط ؟ على قولين ، فالأكثرون من العلماء على أنه أسرى ببدنه وروحه يقظة لا مناماً ، ولا ينكرون أن يكون رسول الله ﷺ رأى قبل ذلك مناماً ، ثم رآه بعد ذلك يقظة ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام ، كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . . والدليل على هذا قوله سبحانه وتعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير ﴾ . فالتسبيح هنا إنما يكون عند الأمور العظام ، فلو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء ، ولم يكن مستعظماً ، ولما بادر كفار قريش إلى تكذيبه ، ولما ارتدت جماعة ممن كان أسلم ، وأيضاً فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد ، وقد قال الله تعالى ﴿ أسرى بعبده ليلاً ﴾ . وقال تعالى ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ . قال ابن عباس رضي الله عنهما : هي رؤيا عين ، أري بها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به ، والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم ، رواه البخاري .

وقال آخرون : بل أسرى برسول الله ﷺ بروحه لا بجسده ، قال محمد ابن إسحاق بن يسار في السيرة : حدثني يعقوب ابن عقبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ ، قال : كانت رؤيا من الله صادقة . وحدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله ﷺ ، ولكن أسرى بروحه . قال ابن إسحاق : فلم يذكر ذلك من قولها ، لقول الحسن أن هذه الآية نزلت

﴿ ومـا جعلنـا الرؤيا التي أرينـاك إلا فتنة للناس ﴾ ولقول الله تعـالى في الخـبر عن إبراهيم : ﴿ إني أرى في المنام أني أذبحك فـانظر مـاذا تـرى ﴾ قـال : ثم مضى على ذلك ، فعرفـت أن الوحي يأتي للأنبيـاء من الله ايقاظـاً ونيامـاً ، فكان رسـول الله ﷺ يقـول : « تنام عينـاي وقلبي يقظان » . والله أعلـم أن ذلك كـان قد جاءه وعـاين من الله فيه ما عاين على أي حالاتـه كان ، نائماً أو يقظان . كل ذلك حق ، وصدق . . انتهى كلام ابن إسحاق .

يقـول ابن هشام : وقـد تعقبه أبـو جعفر بن جـرير في تفسيره بـالرد والإنكـار والتشنيع بأن هـذا خـلاف ظاهـر القرآن ، وذكـر مـن الأدلة على رده بعض ما تقدم . . والله أعلم .



حادث تربوي توجيهي

في كتابه « توجيهات إسلامية » يحدثنا الشيخ الإمام الأكبر محمود شلتوت عن الإسراء والمعراج ، وكالعادة يبدأ الحديث في هذه المناسبة بذكر تلك الآية الكريمة من أول سورة الإسراء :

﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ .

ثم يقول ـ رحمه الله :

يستقبل المسلمون ليلة السابع والعشرين من شهر رجب ، وقد شاع بينهم بعد العهود العملية الأولى ، أنها « الليلة » التي أسرى فيها بالنبي ﷺ من المسجد الحرام بمكة ، إلى المسجد الأقصى بالشام ، ثم عرج به إلى السموات السبع واحدة فواحدة ، إلى الملأ الأعلى ، إلى سدرة المنتهى ، إلى حيث سمع صريف الأقلام ، ورأى سدرة المنتهى والبيت المعمور ، وتلقى عن ربه افتراض خمسين صلاة على أمته ، ثم سأل ربه التخفيف بمشورة موسى عليه السلام ، فخفضها إلى خمس ، وكانت خمساً وخمسين في الأجر والثواب ، ثم رجع من ليلته بعد أن رأى ما رأى من آيات ربه الكبرى .

ومن هنا اعتقد العامة وأشباههم أن لهذه الليلة فضلاً تمتاز به عن سائر ليالي شهر رجب ، بل عن سائر ليالي السنة كلها ، حتى ليلة القدر ، وبذلك اتخذوها موسماً شرعياً ، يقيمون به حفلاً دينياً بالعبادة والذكر والدعاء ، وبما ألفوا فيها اخترعوا من أعياد ومواسم وموالد ، ويطيب لهم في هذا الحفل أن يسمعوا كل ما ورد من الغرائب التي نسبت إلى هذا الحادث التربوي التوجيهي العظيم .

والإسلام لا يعرف لشهر رجب سوى أنه أحد الأشهر الأربعة التي قرر الله حرمتها في شرعة القديم ، واستمرت كذلك في الإسلام ، وفيها نزل قوله تعالى ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق

السموات والأرض منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾ .

أما الإسراء وليلته ، فإنه بالرجوع إلى المصادر التي تحدثت عنه ـ وما أكثرها ـ لا نجد شيئاً مما قيل فيه أو نسب إليه اتفقت عليه الكلمة والنقل سوى أصل « الإسراء والمعراج » ، وفيما عدا هذا من نواحي الحادث وأنبائه اختلفت فيه الروايات والآراء اختلافاً كثيراً اتسع نطاقه حتى بدا في كثير من غرائبه بثوب الاختراع والتخيل .

اختلفت الروايات في عدد مراته ، واحدة أو اثنتين أو ثلاثا أو أكثر من ذلك . .

واختلفت في وقته : سنته ، وشهره ، وأسبوعه وليلته . .

واختلفت في وصف البراق ، راحلة الإسراء ، وفي وصف المعراج مرقاة الصعود إلى السماء ، واختلفت في مكان اجتماع الرسول بالأنبياء السابقين : في السماء أم في الأرض بعد العروج أم قبله ؟

اختلفت في كل هذا ، وفي غيره مما يتصل بالحادث عن قرب أو بعد . . وأخيراً اختلفت فيه الآراء من جهة الجسمية والروحية . . هل كان الإسراء والمعراج بالجسم والروح معاً ، أم كانا بالروح فقط ، أم كان الإسراء بالجسم والمعراج بالروح . . ؟

وقد اتسع ميدان الرأي في الإسراء والمعراج ، إلى أن دخلت فيه قهراً الآيات الأولى من سورة النجم التي نزلت لتؤكد أن القرآن وحي من عند الله ، وليس ـ كما يثيره القوم حوله ـ من صنع محمد ، افتراه وأعانه عليه قوم آخرون . كلا ﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى • وما ينطق عن الهوى • إن هو إلا وحي يوحى • علمه شديد القوى • ذو مرة فاستوى • وهو بالأفق الأعلى • ثم دنا فتدلى • فكان قاب قوسين أو أدنى • فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ .

وقد وصل الاختلاف فيما يتصل بهذا الحادث إلى التفاضل بين ليلته وليلة القدر . . وليلة القدر التي أنزل فيها القرآن الكريم ، وقد أتى أحد الناس إلى

ابن تيمية يسأله عن رجلين يفضل أحدهما ليلة الإسراء ، ويفضل الآخر ليلة القدر ، أيهما المصيب ؟

وينكر الشيخ العظيم كل الإنكار على من يزعم أن ليلة الإسراء ، من جهة ذكراها ومن جهة إحيائها بالعبادة والدعاء أفضل من ليلة القدر . . ويقول : « إنه معلوم الفساد باطراد من دين الإسلام ، هذا إذا كانت ليلة الإسراء تعرف بعينها ، بل النقول في ذلك منقطعة مختلفة ، ليس فيها ما يقطع به . . . ولا يعرف عن أحد من المسلمين أنه جعل لليلة الإسراء فضيلة على غيرها ، وما كان الصحابة والتابعون يقصدون تخصيصها بأمر من الأمور . . ولا يذكرونها ، ولهذا لا تعرف أي ليلة كانت ، بل هناك أيام وأماكن أخرى ، ربما كانت جديرة بالتفضيل ولم يصلنا خبر يخصص شيئاً منها بذلك ، مثل غار حراء الذي ابتدىء فيه نزول الوحي ، ومثل أول يوم أنزل فيه الوحي ، فهما لم يخص واحداً منهما بعبادة ولا غيرها ، ولم يقصدهما النبي ﷺ ، ولا أحد من أصحابه بعد النبوة مدة مقامه في مكة » .

والسؤال الذي يفرض علينا نفسه بعد ذلك . . هو : هل لهذا الخلاف نتيجة مؤثرة في صدق الإخبار بهذا الحادث . .

ينبه الإمام الأكبر ، الشيخ محمود شلتوت بأن هذه الخلافات الواردة لا ينبغي أن يكون لها أثر ذو بال في أصل الحادث نفسه ، فهي خلافات في فرعيات بعيدة عن أصل الحادثة ذاته . . لماذا ؟ لأن ذلك ناشىء من عدم عناية الصحابة بحفظ تواريخ الأحداث ، فقد كانت الأمية شائعة بينهم ، وهم مع هذه الأمية كانوا يقدرون الأحداث وينظرون إليها باعتبار ذاتها ، وباعتبار نتائجها فقط . . دون ربط لها بزمان أو مكان . . وإن الزمان والمكان لم يكونا في الواقع سوى ظرف ضروري للوقوع والحدوث ، وإذن فلا ينبغي التعلق به وقصده بالإحياء والتفضيل إلا بقدر ما يرد فيه من الله سبحانه وتعالى . . ومن ذلك ما خص يوم الجمعة ويوم العيدين ، ويوم عرفة ، ومن هنا لا يكون للمسلمين حق اختراع أعياد ، وإقامة حفلات دينية في أي مكان لما نقل من أحداث الرسول ﷺ ، فضلاً عما هيأته ظروف الضعف من أزمنة وأمكنة ، مثل موالد الأولياء التي تُعمل اليوم بجهود جبارة على إقامتها وتنظيمها ، ودعوة

الناس إليها ، والتسابق فيها ، وهى مبتدعات ما أنزل الله بها من سلطان .

وإذا كان لنا أن نذكر حادث الإسراء ، فإنما نذكره أولا فى حدود اليقين والاطمئنان لا فى متسع الظنون والاضطراب ، وأن نذكره ثانيا بقلوبنا ، وفى أوقاتنا كلها بما يرشد إليه من إيحاء ننتفع به فى حياتنا على توالى السنين والأجيال ... وإن حادث الإسراء بعد أنه تثبيت وتكريم للنبى ﷺ ، وإعداد لقواه النفسية والعقلية والجسمية لتحمل أعباء الرسالة العامة ، ومتاعب الهجرة ، ومشاق الجهاد فى سبيل الله ، وتطمين له على حسن العاقبة ، وعلى خذلان أعدائه ، وعلو كلمته ، هو بعد ذلك كله يوحى للمسلمين بمكان بدئه وهو المسجد الحرام ، ومكان نهايته وهو المسجد الأقصى ، يوحى بتذكر مهابط الوحى الأول الذى تلقاه إبراهيم وإسماعيل ، ومهابط الوحى الثانى الذى تلقاه موسى وعيسى ، وأنها كلها مهابط الرسالة الإلهية التى جاء محمد لتكميلها والهيمنة عليها . وأن تلك الرسالات ، وإن اختلفت أزمنتها ، وتعددت رسلها ، واحدة فى دعوتها وغايتها ، وإن الرسل جميعا الذين اصطفاهم الله لتبليغها بناة بيت واحد ، يضع آخر لبنة فيه خاتمهم محمد بن عبد الله ، صاحب الإسراء والمعراج ، وإذن فلابد أن يخفق على هذه الأماكن جميعها علم التوحيد والإيمان ، على النحو الذى جاء فى رسالته ، ولابد أن تطهر رقعتها من بذور الشرك والوثنية والظلم والفساد ، وأن يعلو فيها سلطان الحق ، وعدالة السماء .

وإذا كان المبدأ - وهو المسجد الحرام - يجب على المسلمين تطهيره وتطهير إقليمه مما تأباه الرسالة الإلهية ، فإن منتهاه وهو المسجد الأقصى وإقليمه يجب كذلك تطهيرهما مما تأباه الرسالة السماوية ..

ونعود فنقول : ما حكمة الإسراء ؟

يجيب على هذا التساؤل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت .. فيتلو أولا هذه الآيات من سورة النساء ، قال الله تعالى :

﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبورا ، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين

ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ .

هؤلاء الرسل هم ألسنة الإصلاح ودعاة الخير والتزكية التى يرتضيها الله لعباده ، بها ينظمون فطرهم ، ويكملون إنسانيتهم ، ويصلون بها أقصى ماقدر لها من كمال . وتبعا لتفاوت الأطوار التى درجت فيها الإنسانية فضل الله بعض هؤلاء الرسل على بعض ، حتى إذا وصلت الإنسانية إلى مرحلة الرشد ، وتأهلت لخوض غمار هذا الكون ، والكشف عن أسراره ، وتفتحت لها عيون الحكمة فيه ، كان رسولها فى تلك المرحلة هو الرسول الأعظم ، رسول الإكمال والإتمام ، اللبنة الأخيرة التى بها يكمل البناء ، ويتم الحسن والابتداع .. « **اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** » ، « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » ، ثم « **مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا ، فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون .. ويقولون : لولا موضع اللبنة .. فأنا اللبنة .. وأنا خاتم النبيين** » .

وهكذا كان وضع محمد ﷺ من إخوانه السابقين ، وبهذا الوضع رفعه الله درجات ، وجعله مظهرا لكمال رحمته بالإنسان ، وسجل له فى نفسه ورسالته وكتابه وأمته من درجات الفضل والرفعة والعزة ، مالم يسجل لأحد قبله فى ناحية من هذه النواحى ، ففى خاصة نفسه يقول الله تعالى له .. ﴿ **ألم نشرح لك صدرك ۝ ووضعنا عنك وزرك ۝ الذى أنقض ظهرك ۝ ورفعنا لك ذكرك** ﴾ . وتتوالى الآيات تكرم محمدا ﷺ وترفع ذكره ﴿ **نون ۝ والقلم ومايسطرون ۝ ما أنت بنعمة ربك بمجنون ۝ وإن لك لأجرا غير ممنون ۝ وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ والله سبحانه وتعالى يضمن لمحمد الغاية التى ترضيه ، ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ فلقد جاء بالرحمة للناس أجمعين ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ ثم هو رسول إلى الناس كافة ﴿ **وما أرسلنا إلا كافة للناس بشيرًا نذيراً** ﴾ . أما الكتاب الذى جاء به فهو هداية للتى هى أقوم ﴿ **إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم** ﴾ وهو إعجاز للجن والإنس لا يأتون بمثله ، مهما ظاهر بعضهم بعضا أو ساعد كل منهم

الآخر ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾ وهو كتاب يجب اتباعه ﴿ **واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم** ﴾ فهو الحق المصدق لما بين يديه من الكتاب ، والمهيمن عليه ، ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه** ﴾ . أما الأمة التى آمنت به ، واستضاءت بهديه فهى كما يقول عنها رب العالمين . ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ وهى الأمة الوسط ، أى الأمة المثلى ، التى لا تُفرط ولا تفرِّط ، بل هى شاهدة على الناس والرسول شاهد عليها ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا** ﴾ .

هذه بعض الدرجات التى رفع الله بها نبيه محمدا ﷺ ، وليست نسبتها إلى ماوراءها من مراتب الكمال التى أنعم الله بها على عبده محمد ، إلا كنسبة الرذاذ إلى الغيث الغزير ، أو الوشل إلى الخضم الكبير .

وإذا كانت قلوب أتباعه مؤمنة بماله عند ربه من هذه المراتب ، وكانت قلوب غيرهم تحترم الحق فتنظر إليه بعين الإجلال والتقدير ، وبعين الواقع المحس المشاهد فيما أتيح للعقل البشرى من مخترعات — كان من السهل على الناس جميعا أن يؤمنوا بما قصه الله علينا ، وقصه هو على صحابته فى حادث الإسراء والمعراج .. ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾ .

فحادث الإسراء والمعراج لم يكن إلا درجة من درجات التكريم ، ووسيلة من وسائل التثبيت ، ولونا من ألوان الاختبار تجلى به سبحانه وتعالى على عبده ونبيه ، وأسبغ عليه من بحار الفيض والإمداد ما تمكن به فى مدة وجيزة أو ساعات معدودة أن يكشف عن طريق المعاينة كثيرا من آيات ربه وعجائبه ، فى أرضه وسمائه ، أسرى به من المسجد الحرام بمكة ، إلى المسجد الأقصى بالشام ، ثم عرج به إلى سدرة المنتهى ، إلى حيث شاء رب العزة والملكوت ، رب القدرة والقهر ، رب الأسباب والمسببات .

وهكذا محص الله بحادث الإسراء محمدا ﷺ ، فتبين له الكاذب من الصادق قبل أن تهيأ له ظروف الهجرة ووسائل الجهاد فى سبيل الله ، ودل به على عنايته برسوله ، وتقريبه لجنابه ، حتى كان فى الملأ الأعلى قاب قوسين أو أدنى .. تحت رعايته وحفظه بأعينه ﴿ **واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ● ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم** ﴾ .

حادث لا يعزب جلاله عن القلوب ، ولا يجف مداده من الأذهان .. فهو شاخص على الدوام فى قلوب المؤمنين ، وماثل فى أذهانهم ، به يعرفون أن الله أكمل تربية نبيهم ، وأعد قواه النفسية والعقلية والجسمية ، ومحص أتباعه ، وميز خبيثهم من طيبهم ، لتحمل أعباء الرسالة العامة ، ومتاعب الهجرة الشاقة ، وتبعات الأخوة الدينية التى ستفترضها الأحداث ، ومشاق الجهاد فى سبيل الله ، وهكذا يقول النبى ﷺ عن نفسه « **أدبنى ربى فأحسن تأديبى** » . ويخاطبه ربه مذكرا له بأنعمه . ﴿ **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا** ﴾ .

ويعود بنا الشيخ شلتوت إلى مقدمات الإسراء والمعراج ، إلى ذلك العام الذى سماه النبى ﷺ « عام الحزن » .

يقول الشيخ : كان النبى ﷺ يدعو الناس إلى ربه ، وله من عباد الله درعان : درع فى البيت يزمله ويحتضنه ، ويبشره ويسرى عنه ، ودرع فى الناس يذود عنه : زوجه خديجة وعمه أبو طالب ، وقد ماتا فى عام واحد ، فاشتد حزنه ، وتلاحقت عليه أنواع الإيذاء ، والكيد الساخر ، ونالت منه قريش ما لم تكن تطمع فى حياتهما ، اعترضه السفهاء ، ونثروا التراب فوق رأسه ، وطرحوا سلا الجزور بين كتفيه ، وهو قائم فى الصلاة ، وخنقوه حتى كاد يموت ، وهكذا تحالف عليه القدر والناس ، وماكاد يخرج إلى الطائف يلتمس النصرة والمعونة حتى قوبل بأشد مما قوبل به من قومه ، فيرجع وقد تقطعت فى نفسه وسائل الاستعانة بخلق الله ، فيتجه إلى من بيده الأمر ، وتذوب نفسه بالضراعة ، وينطلق لسانه بالدعاء : « **اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ؟ أو إلى عدو**

ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن تنزل بى غضبك ، أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولاقوة إلا بالله » .

فى هذا الجو الربانى الخالص ، يمد الله يده إلى عبده ، ويضمه إليه ، ويسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، فيريه من آياته الكبرى مايبدد عن نفسه الشريفة سحائب هذا الجو الأرضى الخانق ، ويضىء له المستقبل بنصرة الحق وبلوغه مايريد الله ، فيزداد محمد يقينا على يقين ، وإيمانا على إيمان بأن الذى أرسله وكلفه دعوة خلقه إلى توحيده هو صاحب هذه القدرة العظيمة التى أبدعت تلك الآيات ، والتى أطلعته عليها فى وقت غير مألوف ، وعلى وجه غير معروف ، فهو بلاشك ناصره ومؤيده ، وهو بلاشك مخرجه من تلك الشدائد ، وهو بلاشك مطهره من هؤلاء الذين ضربوا عليه وعلى أصحابه حصار الذل والهوان ، ثم مافتئوا يصبون عليه الإيذاء والكيد حتى يقول أبو بكر رضى الله عنه : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ؟ .

وهكذا ثبت الله نبيه ، وحباه ذلك الفضل تكريما وإنعاما ، فلنؤمن بحادث الإسراء ، ولنؤمن بشأن الله مع نبيه الذى صنعه بيده ، وحاكه بحكمته ، ولا نسأل أكان بالجسم أم بالروح ؟ أكان فى اليقظة أم فى المنام ؟ ولا كيف انتقل ؟ ولا كيف ارتفع ، ألا وإن العلم الذى يفخرون به اليوم ليسخر كل السخرية من هذه الأسئلة ، وإن الفيض لغزير ، والاستعداد تام ، والقدرة باهرة ، وآيات الله فى الكون ناطقة شاهدة ، لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، يقول سبحانه وتعالى ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ .

هذا هو حادث الإسراء والمعراج ، وإذا كان لنا أن ننتفع بذكرياتنا فلنذكر به فضل الله على نبيه الذى جاهد فى تثبيت هذا الدين ، وإسعاد الإنسانية به ، ولننتهج فى ذلك خطته حتى نحوز رضا الله وإسعاده ، ولنذكر به أيضا ، أن الله فرض فى تلك الليلة على نبيه وأمته — وقد طويت المسافات ، وزالت الحجب — خمس صلوات فى اليوم والليلة ، أمرهم بالمحافظة عليها ، وجعلها عليهم كتابا موقوتا ، بها يناجون ربهم ، وبها يقومون بواجب العبودية التى

هل الاسراء بالروح فقط ام بالروح والجسد ؟

أكثر السلف والمسلمين على أن الاسراء كـــان بالروح والجسد وفى اليقظة ٠

وهو قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر، وأبى هريرة ومالك بن صعصعة وأبى حية البدرى وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحســن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج ، وهو دليـــل

---

(١) وورد رواية منسوبة الى ابى ذر : « فرج ســقف بيتى » وتأويل ذلك يسير ٠

قول عائشة ، وهو قول الطبرانى وابن حنبل وغيرهم من المسلمين : وأكثر المتأخرين من الفقهاء من المحدثين والمفسرين .

وبعض العلماء يقولون : انه كان بالروح . وأنه رؤيا منام مع اتفاقهم على أن رؤيا الأنبياء حق ووحى والى هذا ذهب معاوية رضى الله عنه واليه أشار ابن اسحق ، وحجتهم قوله تعالى (**وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس**) (١) صدق الله العظيم .

وقالت طائفة ثالثة : ان الاسراء كان بالجسد يقظة الى بيت المقدس ثم الى السماء بالروح فقط واحتج لذلك بقوله تعالى «**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى**» فجعل المسجد الأقصى غاية الاسراء الذى وقع التعجب فيه. وعلق القاضى عياض على هذه الآراء بقوله :

---

(١) انظر الامام احمد — بمسنده الحديث رقم ١٩١٦ — ٣/٢٠ دار المعارف الحديث الصحيح التالى عن ابن عباس رضى الله عنهما : فى قوله — عز وجل : «وماجعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس» قال : هى رؤيا عين رآها النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به .
ورواه البخارى وعبد الرزاق .. الخطيب

« والحق فى هذا والصحيح ان شاء الله ، أنه اسراء بالجسد والروح فى القصة كلها ، وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار ، ولايعدل عن الظاهر والحقيقة الى التأويل ، الا عند الاستحالة ، وليس فى الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة ، اذ لو كان مناما ، لقال : (بروح عبده) ولم يقل (بعبده) ، ولما كانت فيه معجزة ، ولما استبعده الكفار ولا كذبوه ولا ارتد حين سماعه ضعفاء من أسلم وافتتنوا به ، وما طلبوا منه أن يصفه لهم .. بل ان تكذيبهم له دليل على أنهم فهموا أنه كان بالجسد وحال اليقظة ، واقتضت حكمة المولى الرحلة لتتم فيها أمور ، فى مقدمتها فرض الصلاة ، وامامته الأنبياء ببيت المقدس .. الى ماذكر فى رواية أنس من مجىء سيدنا جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء حيث كانت الملائكة تقول لسيدنا جبريل ، ومن معك ؟ فيقول محمد ، ولقائه - صلى الله عليه وسلم - الأنبياء فيها وخبره معهم وترحيبهم به ، وشأنه فى فرض الصلاة ومراجعته - صلى الله عليه وسلم سيدنا موسى فى ذلك » .

وتؤكد رواية ابن اسحاق — رضى الله عنه — ذلـــك .

ثم قال القاضى عياض رحمه الله تعالى فى ابطال حجج من قال أنها رؤيا نوم :

اجتجوا بقوله تعالى « **وما جعلنا الرؤيا ..** » فسماها رؤية . قلنا : قوله : « **سبحان الذى أسرى بعبده ..** » يرده . لأنه لايقـــال فى النـــوم « أسرى » .

وقوله « فتنة للناس .. » يؤيد أنها رؤيا عين واسراء شخصى . اذ ليس فى الحلم فتنة ، ولا يكذب به أحد . لأن كل أحد يرى مثل ذلك فى منامه (١) .

وأما قولهم : انه سماها فى الحديث مناما .

وقوله فى حديث آخـــر « .. بين النـــائم واليقظان .. » .

وقوله أيضا : وهو نائم .

وقوله : ثم استيقظ ، فلا حجة فيه .

---

(١) راجع حديث ابن عباس الوارد بها مثل هذا الفصل .

المعراج بالروح فقط .

وهذا العروج بالروح فقط اما أن يكون فى حالة النوم أو فى حالة اليقظة و لاثالث لهما ، فان كان فى حالة النوم فهو عين القسم الأول أى رؤيا منامية . وان كان فى حالة اليقظة فالعقل لا يقبله ، لان الله تعالى يقبض الأرواح اما قبضا جزئيا أو قبضا كليا ولا ثالث لهما ، فالقبض الجزئى قبض الروح فى حالة النوم ، والقبض الكلى قبض الروح حالة الموت كما قال تعالى : « **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى (١)** » .

ولو صح ما قيل من أن المعراج كان بروحه لا بجسده فى حالة اليقظة للزم تحقق موته ﷺ مدة « المعراج » ثم عودة الحياة اليه بعد ذلك .

نحن نؤمن بأن الله سبحانه قادر على ذلك ، ولكن ــ حسب علمى ــ لم ينقل الينا من أحد أن النبى ﷺ

---

(١) الآية ٤٢ من سورة الزمر .

قبض مرتين : مرة عند المعـراج ، وأخـرى عنـد التحاقه بالرفيق الأعلى .

وعلى هذا يجب اسـقاط قول من ذهب الى هذا الرأى وهو العروج من غير جسد فى حالة اليقظـة.

وعلى هذا يبقى موضوع الخلاف فى المعراج أكان فى حالة النوم — أى بالروح فقط — أم فى حـالة اليقظة بالروح والجسد معا ؟

آراء العلماء متضـافرة والأدلة تؤيدهم فى أن المعراج كان بروحه وجسده ﷺ حيث ان المعـراج وقع عقب الاسراء الى المسـجد الأقصى بالـروح والجسد كما يدل على ذلك لفظ « بعبده » الذى يطلق على الروح والجسد معا لا على الروح فقط فهو فى رأيى نص قاطع. والنص القاطع لايحتمل التأويل الاعند الاستحالة كما فى قوله تعالى : « واسأل القرية (١) » حيث يستحيل عقلا توجيه السؤال الى القرية لأنها جماد . وليس فى الاسراء بجسده فى حالة اليقظـة استحالة كما سنبين فيما بعد . والقول بأن فى اللفظ

---

(١) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

مجازا بالحذف تقديره (بروح عبده) — على غرار « واسأل القرية » مرفوض لأن هذا التقـــدير زيادة على النص القاطع والزيادة عليه نسخ له ، وهذا ممتنع هنا لأن النص القاطع لا ينسخه الا نص مثله

وبعد أن صلى النبى ﷺ بالمسجد الأقصى خرج فوجد أمامه «المعراج»فحمل عليه الى السموات العلى تاركا البراق بجوار المسجد الأقصى مربوطا بنفس الحلقة ثم عاد بعد العروج الى المســجد الأقصى فركب « البراق » عائدا الى المسجد الحرام •

واذا كان الاسراء قد وقع بالروح والجسد كما دل عليه النص القاطع ، فان المعراج كان كذلك بالروح والجسد لوقوعـــه عقب الاسراء مباشرة فلم يتم النبى ﷺ بالمسجد الأقصى حتى يعرج روحه دون جسده ، ولم يخرج روحه ﷺ من جســـده وهو فى حالة اليقظة فى المسجد الأقصى ليعرج الى السموات العلى لامتناع ذلك كما سبق • ولا يبقى أمام العقل السليم الا الاعتراف بأن المعراج — كالاسراء — كان بالروح والجسد •

الرد على القائلين باستحالة المعراج بالجسد

دليل منكرى وقوع المعراج بالجسد العقل حيث قالوا : العقل يحكم باستحالة صعود الجسم الى السموات وما فوقها ، لأن الغلاف الجوى المحيط بالكرة الأرضية عبارة عن كتلة نارية محيطة بها فاختراقها محال .. ولو حاول الجسد اختراقها لاحترق .

ثم ان الجسم الانسانى كثيف يهوى بطبعه الى الأرض التى هى المركز .

رد عليهم علماء الحديث قائلين :
ان الأرواح تنقسم الى أربعة أقسام :

١ ـ أرواح العوام تغلب عليها القوى الحيوانية فلا تقبل العروج أصلا .

٢ ـ أرواح العلماء التى كملت لها القوة النظرية للبدن باكتساب العلوم والمعارف .

٣ ـ أرواح المرتاضين الذين كسروا قوى أبدانهم بالارتياض والمجاهدة فتم له كمال القوة المدبرة للبدن باكتساب الأخلاق الحميدة .

٤ ـ أرواح الأنبياء التى حصل لها كمال القوتين، كلما ازدادت قوة أرواحهم ازداد ارتفاع أبدانهم من لأرض • ونبينا ﷺ لما كان أكمل الأنبياء قوة عرج به الى قاب قوسين أو أدني •

هذه خلاصة ما نجده في كتب الحديث •

لكننا نستطيع أن نرد على منكري وقوع المعراج بالجسد لاستحالة اختراق الجسم البشرى للغلاف الجوي والا احترق فنقول لهم :

أولا : ان العقل البشري يجيز للانسان اختراق الغلاف الجوى والصعود الى أعلى من ذلك اذا تسلح هذا الانسان بالوسائل التى تمكنه من ذلك • ولقد تمكن الانسان المعاصر من اختراق المجال الجوى والصعود الى الفضاء الواسع الخالى من الهواء والوصول الى القمر والنزول فيه •

ثانيا : ان القرآن الكريم أشار الى امكان وقوع ذلك حيث قال تعالى : «يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض

فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان (١) » ولفظ « سلطان ذكر فى القرآن الكريم ٣٦ مرة وهو وان كان بمعنى القهر والغلبة فى بعض المواضع كما فى قوله تعالى : **« ان عبادى ليس لك عليهم سلطان (٢) »** الا أنه يستعمل فى الحجة والبرهان . وهو فى القرآن اكثر استعمالا فى الحجة والبرهان كما فى قوله تعالى : **« قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى له ما فى السموات وما فى الأرض ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون (٣) »** وقوله تعالى : **« ما لكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين (٤) »** وقوله تعالى : «ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين (٥) » فلفظ « سلطان » فى هذه الآيات الكريمة وغيرها بمعنى العلم والحجة والبرهان لا

---

(١) الآية ٣٣ من سورة الرحمن .
(٢) الآية ٤٢ من سورة الحجر .
(٣) الآية ٦٨ من سورة يونس .
(٤) الآيات ١٥٤ — ١٥٧ من سورة الصافات .
(٥) الآية ٤٥ من سورة المؤمنون .

بمعنى القهـر والغلبة فالقـرآن الكريم اذن يجيز النفوذ والصعود الى أقطـار اسـموات والأرض بواسطة العلم . وقد حصل هذا فعلا فى عصرنا .

ثالثا : منكرو وقوع المعراج بالجسـد لاستحالته عقلا لم يفطنوا الى نقطة مهمة فى الموضـوع وهى : اننا لم نقل ان الانسان يستطيع العروج بنفسه مطلقا . وانما قلنا : يستطيع ذلك بواسطة العلم أى اذا تسلح بالوسائل التى تمكنه من ذلك . ثم ان معراج الرسول ﷺ انما كان بدعوة من الله تعالى حيث أرسل جبريل عليه السلام ومعه المعراج ليعرج بمحمد ﷺ والله عز وجل هو خالق الكون . وهو الذى وضع لهذا الكون قوانين . فهو سبحانه يعطل هذه القوانين أو يلغيها كلما أراد ذلك . لأن من يضع القوانين يملك تعطيلها أو الغاءها لاعتبارات خاصة فمن هذه القوانين التى وضعها الله عز وجل للكون قانون الاحراق للنار لكنه سبحانه عطل هذا القانون حينما ألقى الكفار ابراهيم عليه السلام فى النار ليحترق حيث قال للنار : **«يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم»** (١) فلم يحترق

---

(١) الآية ٦٩ من سورة الانبياء .

ابراهيم عليه السلام .

واذا أراد الله سبحانه أن يعرج اليه بعض ممن اصطفاهم من خلقه عطل قانون احراق النار المحيطة بالكرة الارضية — اذا كان هناك نار — فيعرج بالروح والجسد ثم يعود الى الأرض دون أن يصاب بسوء .

رابعا : الأحاديث الواردة فى حق المعراج رواها أكثر من ثلاثين صحابيا — كما قال الامام السيوطى — وقال الزرقانى : رواها خمسة وأربعون صحابيا . هذه الأحاديث تكاد تبلغ حد التواتر وفيها دليل واضح وصريح على أن المعراج كان بالروح والجسد ، ذلك هو قول جبريل عليه السلام لحارس كل باب من أبواب السموات السبع : افتح مستأذنا بالدخول . فهذا الاستئذان دليل صريح على أن المعراج كان بالروح والجسد ، ولو كان بالروح فقط لما احتاج الى هذا الاستئذان لأن الأرواح أجسام نورانية لطيفة لا تقع الأبواب عقبة فى طريق عروجها .

خامسا : ان معراج النبى ﷺ انما كان ليريه الله عز وجل من آياته الآيات الكبرى ، وما يراه النائم فى منامه لا يكون آية كبرى .. ثم ان حقيقة لفظ

« لنريه » انما يقال لما فى اليقظة .. وظاهر قوله تعالى : « علمه شديد القوى »وقوله : « ثم دنا فتدلى » وقوله : « ما كذب الفؤاء ما رأى » وقوله « ما زاغ البصر وما طغى » كل هذه الأقوال وغيرها تدل بظاهرها على ان المعراج كان بالروح والجسد معاً .

وشبهة القائلين بأن المعراج كان بالروح فقط ألفاظ وردت فى بعض الروايات تدل على أن المعراج كان رؤيا مثل قوله ﷺ : « بينا أنا نائب فى الحطيم » و « بينا أنا نائم فى الحجر » وغيرها ، هذه الشبهة يمكن ازالتها بواحد من وجهين :

الأول : أن يقال : عند مجىء الملك اليه كان نائماً أو كان بين اليقظة والنوم ثم تنبه حينما كلمه الملك.

الثانى : أن يقال : رأى فى منامه عدة مرات أنه عرج به الى السموات العلى ليكون ذلك توطئة وتمهيداً لما يحدث له فى حالة اليقظة حينما يكون له عروج بجسده مثل ما حصل بخصوص دخول المسجد الحرام قبل الفتح حيث أراه الله فى منامه أنه دخل المسجد الحرام

ثم أدخله فى حالة اليقظة (١) .

ولهؤلاء القائلين شبهة أخرى أيضا . وهى : استحالة اجتياز هذا الفضاء الواسع الذى يقدر طوله بمئات السنوات الضوئية فى جزء من الليل .

ويقال لهؤلاء المنكرين :

ان كنتم تؤمنون بالقرآن الكريم فشبهتكم هذه غير واردة : ألم تقرأوا قصة نقل عرش بلقيس من سبأ الى الشام فى أقل من طرفة عين لأن «آصف بن برخيا» قال لسليمان عليه السلام حينما طلب نقل هذا العرش : « **انا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر** » (٢) فاذا كان «آصف» يعلم اسم الله الأعظم الذى اذا دعى به أجاب استطاع نقل العرش عبر آلاف الأميال فى أقل من طرفة عين فكيف بالله عز وجل صاحب الاسم الأعظم ؟!

أفعاله كلها أحداث مجردة من الزمن فاذا أراد فعلا فحدوثه لا يحتاج الا الى زمن مساو للزمن الموجود

---

(١) وردت قصة هذه الرؤيا فى سورة الفتح .
(٢) الآية ٤٠ من سورة النمل .

فى مصارعة الوهم

«بالروح أم بالروح والجسد؟»

رغم الاختلاف الكبير فى التأريخ لحادثة الإسراء والمعراج باليوم والشهر والسنة ، فقد استقر الحال على احتفال المسلمين فى معظم أقطارهم بذكرى الإسراء والمعراج فى السادس والعشرين من رجب من كل عام ، ولا تفوت المناسبة من غير سيل من الخطب الطويلة والمقالات والبرامج والشرح المعاد .

وفى هذا الخضم الهائل من التعليقات السنوية لابد وأن تثار دائما قضية مفتعلة تبدو وكأنها قضية خطيرة جداً ، وهى مسألة الإسراء : هل كان بالروح (مناما) ؟ أم كان بالروح والجسد ؟ والمعراج بأيهما كان ؟ .

تلقى المسألة فى تفصيل مطول ، ويتكرر الرد دائما بالحجة والدليل على جموع موهومة من المعتقدين فى الإسراء بالروح دون الجسد .

فما هو منشأ هذه القضية ؟ وكيف تأتى لها الاستمرار والانتشار طوال القرون ، ينقلها الخلف عن السلف ، ويدفعون بها كيد المتشككين الذين لم يحددوهم بالتعيين أبدا بقدر ما أعطوا لرأيهم من اهتمام . وقليل من الناس من تنبه إلى الحقيقة المؤسفة المتمثلة فى أن السبب الوحيد تقريبا فى تضخيم هذه المسألة هو مجرد تكرارها وزيادة القول فيها ، مما أعطى لها حجما أكبر بكثير من حقيقتها ، منهم الأستاذ سعيد محمد حسن مؤلف كتاب (حقائق الإسراء والمعراج) ، وهو كتاب قيم ، استفدنا من منهجه فى السرد التاريخى فى تتبعنا لفكرة الإسراء بالروح منذ نشأتها حتى عصرنا الحالى حيث وجدنا الحقيقة تفصح عن نفسها بكل لسان .

ذكرنا من قبل أن كتاب (السيرة النبوية) لابن إسحاق (المتوفى سنة ١٥١ هـ) هو أول كتب السيرة التى وضعت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وأشرنا إلى أنه عند وضع هذا الكتاب الأول لم يكن مصطلح الحديث قد ضبط ، ولم يكن الجرح والتعديل قد تبلور علما له أصوله ، وعلى ذلك لم يكن بوسع ابن إسحاق أن يتحرى علميا من صدق كل ما يصل إليه من أحاديث ، وللحق فإنه لم يكن مطالبا باتباع أصول علم لم يوضع بعد ، ومن هنا وجدت بعض الأساطير والإسرائيليات والأقوال الضعيفة سبيلها إلى كتاب (السيرة) الأول .

وكان ابن إسحاق (محمد بن إسحاق بن يسار) من أهل المدينة ، زار الاسكندرية سنة ١١٩ هـ ، وسكن بعدها بغداد حتى مات فيها ، وقيل : كان قَدَرِيًّا قال عنه ابن حبان : (لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق فى علمه أو يوازيه فى جمعه ، وهو من أحسن الناس سياقا للأخبار) [1] ومع ذلك ضعفه المحققون من علماء الجرح والتعديل لنقله عن غير الثقات ، خصوصا إذا انفرد بما يرويه .

إن البحث عن نشأة القول بالإسراء بالروح يقودنا إلى الاعتقاد بأن ابن إسحاق هو أول من قال به ، قاله فى كتابه المذكور (السيرة النبوية) والذى يعتبر الكتاب الأم والمرجع لمعظم كتب السيرة من بعده ، حيث جاء فيه : « وحدثنى بعض آل أبى بكر : أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله أسرى بروحه .» ثم يقول : « وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أن معاوية بن أبى سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كانت رؤيا من الله ـــ تعالى ـــ صادقة » [2].

---

(١) (الأعلام) ـــ خير الدين الزركلى ـــ دار العلم للملايين ـــ بيروت ـــ طبعة خامسة ـــ ١٩٨٠ م ـــ صفحة ٢٨ / ٦ .

(٢) (سيرة النبى) لابن هشام ـــ دار الهداية ـــ القاهرة ـــ الجزء الثانى ـــ صفحتا ٥ ،٦ .

ولكن عائشة — رضى الله عنها — فى وقت الإسراء والمعراج — الذى وقع قبل الهجرة بعام على أرجح الأقوال — كانت صغيرة جدا ، غير ضابطة للحديث ولم تكن قد أصبحت بعدُ أُما للمؤمنين فلم يدخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا فى المدينة ، لم يضمهما فراش قبلها . يقول الشامى فى (سبل الهدى والرشاد) : « وأما ما يعزى لعائشة — رضى الله عنها — فلم يرد بسند يصلح للحجة ، بل فى سنده انقطاع وراو مجهول كما تقدم . وقال أبوالخطاب ابن دحية فى (التنوير) إنه حديث موضوع عليها . وقال فى (معراجه الصغير) : قال إمام الشافعية القاضى أبوالعباس بن سريج : هذا حديث لا يصح ، وإنما وضع ردا للحديث الصحيح » [1].

أما معاوية بن أبى سفيان المعزو إليه الحديث الآخر الذى أورده ابن إسحاق آنفا فقد كان فى وقت الإسراء والمعراج مشركا لم يدخل الإسلام بعد .. قال الشامى (٣ / ١٠٣) : ويعقوب — يعنى ابن عتبة بن المغيرة الأخنس — وإن كان ثقة ، إلا أنه لم يدرك معاوية فالحجة منقطعة (وفى خلاصة الخزرجى ص ٣٧٥ أن يعقوب توفى سنة ١٢٨ هـ بينما توفى معاوية سنة ٦٠) [2].

(٢،١) انظر : هامش (الآية الكبرى فى شرح قصة الإسراء) للسيوطى تحقيق محيى الدين مستو — صفحات ١٠٦ ، ١٠٧ .

الأمر — إذن — واضح شديد الوضوح فى انعدام الحجية بحديثى عائشة ومعاوية السابقين اللذين نرجح — كما رجح المحققون — أنهما منسوبان إليهما زورا ودسًّا وأنهما على علاقة وثيقة بفكرة الإسراء بالروح نتيجة أو سببا ولا عجب بعد ذلك أن يهمل كلٌّ من البخارى ومسلم هذين الحديثين ، وأن يتابعهما على ذلك أئمة الحديث المعتبرون .

ولكن ابن إسحاق فى غيبة المنهج النقدى — الذى أرساه علم مصطلح الحديث بعد وفاته — ذكر الحديثين ، معقبا عليهما بقوله : « فلم ينكر ذلك من قولهما ، لقول الحسن : إن هذه الآية نزلت فى ذلك ، قول الله — تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ (1) ولقول الله — تعالى — فى الخبر عن إبراهيم — عليه السلام أنه قال لابنه : ﴿ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ ﴾ (2) ثم مضى على ذلك ، فعرفت أن الوحى من الله يأتى الأنبياء أيقاظا ونياما .

« وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول — فيما بلغنى — : (تنام عيناى وقلبى يقظان) والله أعلم أى ذلك

(1) سورة الإسراء : الآية ٦٠ .
(2) سورة الصافات : الآية ١٠٢ .

كان قد جاءه وعاين فيه ما عاين من أمر الله ، على أى حالَيْهِ كان : نائما أو يقظان ، كل ذلك حق وصدق » [1].

ولكن الآيتين ، وَصِلَتَهُمَا بالموضوع محل أخذ ورد بين العلماء ، فالرؤيا المقصودة فى الآية الأولى محمولة على أنها رؤياه صلى الله عليه وسلم لفتح مكة قبيل صلح الحديبية ، وتصديقها قول الله — تعالى — : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [2]

فقد كان المسلمون يرون ذلك قريبا فى عامهم ، فلما منعهم المشركون من دخول مكة ، وأمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالرجوع إلى المدينة ، افتتن بعضهم ، وتقول المنافقون الأقاويل ، فحلفوا تهكما ، والله ماحلقنا ولاقصرنا ولا رأينا المسجد الحرام ، وكانت فتنة ذكرتها الآية الكريمة .

ولكن على فرض أن المقصود بالرؤيا فى آية سورة الإسراء هى الإسراء والمعراج فعلا ، فليست بدليل كذلك على أنه كان

---

(١) (السيرة النبوية) لابن هشام — صفحة ٦ / ٢ .

(٢) سورة الفتح : الآية ٢٧ .

مناما ، وقد ثبت من لغة العرب أن كلمة الرؤيا تأتى أيضا بمعنى الرؤية البصرية ، والاستدلال على ذلك مشهور فى كتب الإسراء جميعا ببيت الشعر الآتى :

وكبر للرؤيا وهشَّ فؤاده ... وبشر قلبا كان جمّاً بَلَابِلُه .

يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى : « ويقولون : (الرؤيا) لاتستخدم إلا لما يرى فى المنام .. أما مايرى فى اليقظة ، فإننا نقول عنه (رؤية) .. نقول : إذا كان المقصود هنا رؤيا منامية فكيف تكون فتنة للناس ؟ يصدقها بعضهم ويكذبها بعضهم ؟ ! لو كانت رؤيا منامية .. فلا يمكن أن يناقشها أحد تصديقا أو تكذيبا كما بينا ، ونحن لايجب أن نأخذ بالشائع على ألسنة الناس . ولكننا إذا عدنا للغة العربية قبل أن ينزل القرآن .. نجد أن كلمة (الرؤيا) وردت أيضا للبصر .. عندما يتحدثون عن الأشياء الغريبة التى تشبه الحلم .. فإذا استخدمنا (رؤيا) بمعنى المشاهدة بالبصر .. فهذا لايتم إلا إذا رأينا أمامنا أمرا عجيبا .. وإلا لو كانت الرؤيا منامية ماكانت فتنة للناس .. فلا أحد يناقش الأحلام كذباً أو صدقاً » . [1]

---

(١) المعجزة الكبرى : الإسرا والمعراج ـــ صفحة ٤٩

أما الآية الأخرى ففيها تصريح الله — تعالى — بأن رؤيا أبى الأنبياء إبراهيم — عليه السلام — كانت فى منامه ، ولو كان إسراء النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى المنام لذكر الله — تعالى — ذلك كما ذكر فى تلك الآية ، وكما ذكر أيضا صراحة فى قوله — تعالى —: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾[1]

إذن نخلص إلى أنه لا هذه الآية الكريمة ، ولاتلك مما يساعد ابن إسحاق فى إجازته لفكرة الإسراء بالروح أو فى المنام ، تلك الفكرة التى ظل المفسرون والعلماء عبر القرون ينقلونها ويردون عليها بنفس الردود تقريبا ، مما جعل المسألة فى النهاية تأخذ حجما ضخما ، كأنها قضية خطيرة تنقسم الأمة من حولها .

والحق أنه كما أشار الأستاذ سعيد محمد حسن فى كتابه فإن « القول بأن الإسراء والمعراج قد تما بالروح دون الجسد ، ماكان — بما يعنيه من خروج على إجماع السلف ، ومخالفة ما عليه جمهور المسلمين — ليحظى بمثل تلك المكانة ، ولاليثير كل ذلك الجدل ، لو لم يكن ابن إسحق هو الذى بدأه ، ولو لم يكن الذى احتواه هو كتاب (السيرة) »[2] .

---

(١) سورة الأنفال : من الآية ٤٣ .

(٢) (حقائق الإسراء والمعراج) — مؤسسة روز اليوسف — القاهرة — ١٩٧٦م — صفحة ٦٦ .

ثم وضعت الأحاديث بعد ذلك للرد على حديث عائشة الموضوع ، فنجد ابن سعد صاحب الطبقات (١٦٨هـ — ٢٣٠هـ / ٧٨٤م — ٨٤٥م) — صاحب الواقدى المؤرخ حتى قيل: كاتب الواقدى الذى ولد فى البصرة وعاش فى بغداد وتوفى فيها — نجده يذكر حديثا فى (طبقات الصحابة) نصه : « وقال بعضهم : فقد النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ، فتفرقت بنو عبد المطلب يطلبونه ويلتمسونه وخرج العباس بن عبد المطلب حتى بلغ ذا طوى فجعل يصرخ : يامحمد ، يامحمد ، فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم : لبيك ، قال : يابن أخى ، عنيت قومك منذ الليلة فأين كنت ؟ قال : أتيت من بيت المقدس . قال : فى ليلتك ؟ قال : نعم ، قال : هل أصابك إلاخير ؟ قال : ماأصابنى إلاخير » . وواضح أن هذا الحديث قد وضع خصيصا للرد على حديثى عائشة ومعاوية لإثبات فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينفيه حديث عائشة .

ويلاحظ الأستاذ سعيد محمد حسن « أن ابن سعد قد نقل بعض أخباره عن ابن اسحاق ، فهو إذن كان على صلة بكتاب (السيرة) لكنه لم ينقل عنه أو عن غيره الأقوال المنسوبة للسيدة عائشة أو لمعاوية ، لأنها لم تكن شائعة ، ولأنها ليست صحيحة ، كما أنه لم يناقش ماأثاره ابن إسحاق عن (الإسراء

بالروح) وهو ما يقطع بأن الإسراء بالروح لم يكن حتى نهاية القرن الثانى الهجرى قد تبلور وأصبح قضية مطروحة تستحق النقاش ، أو تساؤلا عاماً يحتاج إلى بيان وجدل » . (١)

فإذا أخذنا فى تتبع تطورات هذه القضية المفتعلة بعد ابن إسحاق وابن سعد حتى يومنا هذا وقفنا على الحقيقة المحزنة التى تظهر كيف وقف المسلمون يتجادلون بعنف فيما لاأصل له .

★ ★ ★

فها هو أبو جعفر : محمد بن جرير بن يزيد الطبرى (٢٢٤هـ — ٣١٠هـ / ٨٣٩م — ٩٢٣م) والذى قال عنه ابن الأثير : (أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ) ينقل فى تفسيره الشهير (جامع البيان فى تفسير القرآن) مانسب إلى السيدة عائشة ومعاوية وتعقيب ابن إسحاق ، ولا يذكر فى هذا الشأن شيئا عن أحد آخر غيرهم — أو هو فى الحقيقة قول ابن إسحاق وحده بعد أن ثبت عدم صحة الحديثين ، ثم تصدى ابن جرير للرد المفحم على (القائلين بالإسراء بالروح) مدعما رده بالحجج والبراهين الدامغة ، وأصبح رده على مر السنين فيما بعد منبعا وأصلا لمعظم الردود التالية ،

(١) المصدر السابق — صفحة ٧٣ .

وجاء فيه قوله : « والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن الله أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، كما أخبر الله عباده ، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله حمله على البراق ، حين أتاه به ، وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل ، فأراه من الآيات

« ولا معنى لقول من قال : أسرى بروحه دون جسده ، لأن ذلك لو كان كذلك ، لم يكن فى ذلك ما يوجب أن يكون دليلا على نبوته ، ولا حجة له على رسالته ، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك ، كانوا يدفعون به عن صدقه فيه ، إ لم يكن منكرا عندهم ولا عند أحد من ذوى الفطرة الصحيحة من بنى آدم ، أن يرى الرائى منهم فى المنام ما على مسيرة سنة ، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل ؟ ! .

وبعد : فإن الله إنما أخبر فى كتابه أنه أسرى بعبده ، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده ، وليس جائزا لأحد أن يتعدى ما قاله الله إلى غيره ، فإن ظنَّ ظانٌّ أن ذلك جائز ، إذ كانت العرب تفعل ذلك فى كلامها ، كما قال قائلهم :

حسبت بغام راحلتى عناقا ... وما هى ويب غيرك بالعناق

« يعنى حسبت بغام راحلتى صوت عناق ، فحذف الصوت واكتفى منه بالعناق ، فإن العرب تفعل ذلك فيما يكون مفهوما مراد المتكلم منهم به من الكلام ، فأما فيما لا دلالة عليه إلا بظهوره ، ولا يوصل إلى معرفة مراد المتكلم إلا ببيانه : فإنها لا تحذف ذلك ، ولا دلالة تدل على أن مراد الله من قوله : ﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ أسرى بروح عبده ، بل الأدلة الواضحة والأخبار المتتابعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله أسرى به على دابة يقال لها البراق ، ولو كان الإسراء بروحه ، لم تكن الروح محمولة على البراق إذ كانت الدواب لا تحمل إلا الأجسام . إلا أن يقول قائل : إن معنى قولنا : (أسرى بروحه) رأى فى المنام أنه أسرى بجسده على البراق فيكذب حينئذ بمعنى الأخبار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جبريل حمله على البراق ، لأن ذلك إذا كان مناما على قول قائل هذا القول ولم تكن الروح عنده مما تركب الدواب ولم يحمل على البراق جسم النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم — على قوله — حمل على البراق ، لا جسمه ولا شيء منه ، وصار الأمر عنده كبعض أحلام النائمين ، وذلك دفع لظاهر التنزيل ، وما تتابعت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت به الآثار عن الأئمة من الصحابة والتابعين » [1] .

(١) انظر تفسير سورة الإسراء فى تفسير الطبرى : (جامع البيان) / (حقائق الإسراء والمعراج) صفحة ٧٦ .

يبدو هذا الرد كما لو كان موجها ضد أنصار قضية كبرى ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، فالرد كان موجها ضد رأى ابن إسحاق وحده لا غير ، ولم يذكر الطبرى نفسه أحداً آخر ممن يقول بالإسراء بالروح . وحتى لو قلنا : إن القول بالإسراء بالروح قد شاع قليلاً عند بعض الناس فى عهد الطبرى ، فإن عدم ورود أدلة عن هؤلاء القائلين بذلك معناه أن أساس القول لم يتغير ، فالفكرة مبنية دائما على رأى ابن إسحاق المدعم بالحديثين الضعيفين (بل الموضوعين) وذلك هو الحال حتى يومنا هذا .

إن تفنيد ابن جرير الطبرى للرأى القائل بالإسراء بالروح تفنيد رائع ، وردده المفسرون والعلماء قرونا من بعده ، ولكن كان ضرره الوحيد أنه أظهر المسألة فى حجم أكبر بكثير من حقيقتها ، كما لو كانت قضية عامة ، وليست مجرد رأى شاذ منفرد .

* * *

بعد الطبرى نبغ فى الشرق الإسلامى الحافظ أبوبكر أحمد ابن الحسين بن على المعروف بالبيهقى (٣٨٤ هـ — ٤٥٨ هـ ٩٩٤ م — ١٠٦٦ م) فكان من أئمة الحديث ، نشأ فى بيهق بنيسابور ، ورحل إلى الكوفة وبغداد ومكة وغيرها ، وقال عنه الذهبى : لو شاء البيهقى أن يعمل لنفسه مذهبا يجتهد

فيه لكان قادرا على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف ، ومن أشهر تصانيفه الكثيرة كتاب « دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة » ورغم العدد الضخم الذى أورده من أحاديث الإسراء والمعراج ، وتصنيفه لها ، واصفا بعضها بالأحاديث الصحيحة والبعض الآخر بالأحاديث الضعيفة إلا أنه لم يذكر شيئا عن رأى ابن إسحاق ، ولا عن الحديثين المنسوبين إلى السيدة عائشة ومعاوية بن أبى سفيان ، وهو ما يوحى بأنهما لم يرقيا عنده إلى مرتبة الحديث الضعيف ، كما أن تجاهله لمسألة الإسراء بالروح أم بالروح والجسد قد يفيد فى الدلالة على أن المسألة لم تكن شائعة فى عصره فلم يرها جديرة بالذكر أو التعقيب والرد .

* * *

كذلك نبغ فى نيسابور وخراسان فى نفس الفترة تقريبا زين الإسلام : أبو القاسم : عبد الكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة النيسابورى القشيرى (٣٧٦ — ٤٦٥ هـ/ ٩٨٦ — ١٠٧٢ م) ، وكان زاهدا عالما بالدين ، صنف فى التفسير كتابه (التيسير فى التفسير) مازال مخطوطا وأيضا (لطائف الإشارات) تفسير مختصر فى ثلاثة أجزاء ، وهو مطبوع — طبعته الهيئة المصرية العامة للكتاب بتحقيق الدكتور إبراهيم بسيونى ، ولم يتطرق فيه القشيرى إلى مسألة

الإسراء بالروح مما يدل على عدم شيوعها أو شذوذ ذلك الرأى حينذاك أو عدم الاهتمام به على الأقل .

* * *

من بعدهما نبغ جارالله أبو القاسم : محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشرى (٤٦٧ — ٥٣٨ هـ / ١٠٧٥ — ١١٤٤ م) ، وكان من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب ، وكان معتزلى المذهب ، شديد الإنكار على المتصوفة ، خصوصا فى تفسيره المشهور (بالكشاف) ، وفيه يذكر الزمخشرى رأى ابن إسحاق وما نسب للسيدة عائشة ومعاوية ولكنه لا يناقشه ، ولا يذكر رد الطبرى ، وإن أشار إلى أن أكثر الأقاويل بخلاف رأى ابن إسحاق ، فمما جاء فيه قوله : « اختلف فى أنه كان فى اليقظة أم فى المنام فعن عائشة — رضى الله عنها — أنها قالت : والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه .وعن معاوية : إنما عرج بروحه . وعن الحسن : كان فى المنام رؤيا رآها . وأكثر الأقاويل بخلاف ذلك » [1].

* * *

---

(١) (الكشاف) المطبعة البهية المصرية صفحة ٥٤٠ / ١ (حقائق الإسراء والمعراج) : صفحة ٩٧ .

طريق للحقيقة

إن كثرة الأحاديث والآراء فى شأن هذه الحادثة المعجزة كانت قد أصبحت مشكلة عويصة منذ زمن بعيد ولذلك عندما تعرض لها الحافظ ابن كثير فى القرن الثامن لم يجد بدًّا من ذكر عدد كبير من أحاديث الإسراء والمعراج ، ولكنه أشار إلى طريق لمعرفة الحقيقة وسط هذه الأحاديث كلها ، فقال :

« وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث : صحيحها وحسنها وضعيفها يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس ، وأنه مرة واحدة وإن اختلفت عبارات الرواة فى أدائه ، أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه ، فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياء — عليهم السلام — ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة فأثبت إسراءات

متعددة ، فقد أبعد وأغرب ، وهرب إلى غير مهرب ، ولم يتحصل على مطلب » [1].

ومن المهم أن نلاحظ هنا أن القرآن الكريم لم يقف كثيرا عند هذه الحادثة ، ولم يتطرق إلى تفاصيلها ، ربما لأنها خاصة بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم فى المقام الأول،وإسهاب القرآن إنما يكون فيما يختص مباشرة بالعقائد الإسلامية المدعو إليها ، كإثبات وجود الله ، ووحدانيته ، وقدرته والتذكير بالآخرة ، وتنظيم شئون المجتمع المسلم ، وعلاقات أفراده ، وعلاقاته بغيره ، لأن كل ذلك يشكل الأساس الموضوعى العام للإسلام ككل . وإنما حادثة الإسراء والمعراج التى نعتقد فى خصوصيتها الشديدة بالرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن ليفيد المسلمين أو الإسلام كثيرا أن يسهب القرآن الكريم فى سرد تفاصيلها رغم أهميتها القصوى فى حياة الرسول الكريم نفسه .

ومع ذلك فإن أبينا إلا البحث عن تفصيلات هذه الرحلة العظيمة فلن نجد غير تلك الأحاديث النبوية الشريفة ، التى أرشدنا ابن كثير إلى طريقة الوقوف على مابها من حقائق دون الأباطيل ، وقد بنى الشيخ أبو على الفضل بن حسن الطبرسى

---

(١) (تفسير ابن كثير) — صفحتا ٢٧٦ ، ٢٧٧ / ٤ — طبعة دار الأندلس — بيروت .

على منهج ابن كثير فى المقابلة بين الأحاديث قانونا صالحا لعملية الفرز والموازنة بين الروايات ، نشره فى (مجمع البيان فى تفسير القرآن) الجزء الخامس — طبعة مكتبة الحياة — بيروت ، فقال :

« وقد وردت روايات كثيرة فى قصة المعراج ، فى عروج نبينا صلى الله عليه وسلم رواه كثير من الصحابة ، مثل ابن عباس وابن مسعود ، وأنس ، وجابر بن عبد الله وحذيفة ، وعائشة ، وأم هانىء ، وغيرهم عن النبى صلى الله عليه وسلم وزاد بعضهم ونقص بعض ، وتنقسم جملتها إلى أربعة أوجه :

أحدها : مايقطع على صحته لتواتر الأخبار به ، وإحاطة العلم بصحته .

ثانيها : ماورد فى ذلك مما تجوزه العقول ، ولاتأباه الأصول ، فنحن نجوزه، ثم نقطع على أن ذلك كان فى يقظته دون منامه .

ثالثها : مايكون ظاهره مخالفا لبعض الأصول ، إلا أنه يمكن تأويله على وجه يوافق المعقول ، فالأولى أن نؤوله على مايطابق الحق .

رابعها : مالايصح ظاهره ، ولايمكن تأويله إلا على التعسف البعيد ، فالأولى ألا نقبله .

— فأما الأول المقطوع به : فهو أنه أسرى به على الجملة .

ـــ وأما الثانى : فمنه ماروى أنه طاف فى السموات ، ورأى الأنبياء ، والعرش ، وسدرة المنتهى ، والجنة والنار ، ونحو ذلك .

ـــ وأما الثالث : فنحو ماروى أنه رأى أقواما فى الجنة يتنعمون فيها ، وقوما فى النار يعذبون فيها ، فيحمل على أنه رأى صفتهم وأسماءهم .

ـــ وأما الرابع : فنحو ماروى أنه صلى الله عليه وسلم كلم الله ـــ سبحانه ـــ جهرة ، وقعد معه على سريره ، ونحو ذلك مما يوجب ظاهره التشبيه ، والله سبحانه يتقدس عن ذلك ، كذلك ماروى أنه شق بطنه وغسله لأنه صلى الله عليه وسلم كا طاهراً مطهراً من كل سوء وعيب ، وكيف يطهر القلب ومافيه من الاعتقاد بالماء ؟ » .

والآن فلعل قانون الشيخ أبى الفضل هذا يفيدنا فى استكشاف طريق للحقيقة فى هذه الحادثة ، التى نعتقد ـــ ولله العلم ـــ أن من الحقيقة فيها مايلى :

١ ـــ أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ليلًا .

٢ ـــ مرة واحدة على الأرجح .

٣ ـــ فى يقظته .

٤ ـــ وبالروح والجسد .

٥ — قبل الهجرة بعام .

٦ — بوسيلة البراق التى لايعلم حقيقتها إلا الله .

٧ — إلى بيت المقدس .

٨ — ثم عرج به إلى السموات سماء فسماء .

٩ — حتى بلغ سدرة المنتهى .

١٠ — حيث فرضت عليه وعلى أمته الصلاة .

١١ — ثم عاد إلى مكة .

١٢ — فى نفس الليلة .

١٣ — فأخبر الناس صباحاً بفضل الله عليه .

١٤ — فكذبه المشركون وعلى رأسهم أبوجهل .

١٥ — وصدقه أبو بكر فى إيمان فائق ، بينما ارتد بعض ضعفاء الإيمان من المسلمين .

١٦ — وقد أوجز القرآن الكريم جدا فى ذكر هذه المعجزة وهذا منهج ينبغى التأسى به .

هذا مما أعتقده فى حقيقة الإسراء والمعراج ، وقد تكون حقيقة ناقصة هنا ، غير أنى لاأحب أن تكون الخيالات كمالة لها .

أوصاف البراق

أثارت أوصاف البراق فى الماضى سؤالًا هاما عن الحكمة فى اختيار هذه الوسيلة بالذات ، مع كون القدرة قادرة على الإسراء به صلى الله عليه وسلم والعروج دون الحاجة إلى شىء من ذلك أصلًا ، وكان الجواب الذى اختاره الحافظ فى (الفتح) هو قوله : « قيل : الحكمة فى الإسراء به راكبا مع القدرة على طى الأرض له إشارة إلى أن ذلك وقع تأنيساً له بالعادة فى مقام خرق العادة ، لأن العادة جرت بأن الملِكَ إذا استدعى من يختص به يبعث إليه بما يركبه »(١) ونقل قول ابن أبى جمرة : « والقدرة كانت صالحة لأن يصعد بنفسه من غير براق ، ولكن ركوب البراق كان زيادة له فى تشريفه لأنه لو صعد بنفسه لكان فى صورة ماشٍ ، والراكب أعز من الماشى »(٢).

---

(١) المصدر السابق : صفحة ٢٤٦ / ٧ .

(٢) صفحتا ٢٤٦ / ٢٤٧ / ٧ .

من أوصاف هذا البراق الذى جيء به ليعبر عن إعزاز راكبه وتشريفه أنه :

دابة دون البغل وفوق الحمار .

تضع قدمها عند منتهى طرفها .

وفى إحدى الرويات — لابن سعد عن الواقدى بأسانيده — : « له جناحان » أى : لكى يستطيع الطيران ، وهذا تشبيه لسرعة الإسراء بالطيران قال الحافظ فى (الفتح) : « ولم أرها لغيره »[1] أى : لغير ابن سعد .

وجاء فى رواية : « إذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه ، وإذا هبط ارتفعت قدماه » وهى من حديث ابن مسعود عند أبى يعلى والبزار .

ولم يتطرق أحد — حسب علمنا — إلى تفسير حرصه هذا على مس الأرض ، وعدم الارتفاع فوق الجبال والأودية حتى لا يحتاج إلى ارتفاع رجليه أو يديه ، إلا إذا كان ذلك لعدم الخروج عن هيئة الإسراء الذى هو السير ليلاً وفى هذه الحالة فلا حاجة له إلى الجناحين .

---

(١) صفحة ٢٤٦ /٧ .

وبسند ضعيف عن ابن عباس فيما ذكره التعلبى : « لها خد كخد الإنسان وعرف كالفرس ، وقوائم كالإبل ، وأظلاف وذنب كالبقر ، وكان صدره ياقوتة حمراء » .

أما الإيجاز فى رواية البخارى عن ابن صعصعة فى قوله : « فحملت عليه » . فقد فصلته رواية أخرى لأبى سعيد فى (شرف المصطفى) جاء فيها : « فكان الذى أمسك بركابه جبريل ، وبزمام البراق ميكائيل »

وأخرج الترمذى — وقال : حسن غريب — فى رواية لعمر عن قتادة عن أنس أن جبريل قال للبراق حين استصعب على النبى صلى الله عليه وسلم : ما حملك على هذا ؟ فوالله ما ركبك خلق قط أكرم على الله منه قال : « فارْفَضَّ عرقا » : صححه ابن حبان .

وفى حديث مرسل لابن إسحاق عن قتادة : « أنه لما شَمَسَ ، وضع جبريل يده على معرفته ، فقال : أما تستحى ؟ »

وفى رواية وثيمة عن ابن إسحاق : « فارتعشت حتى لصقت بالأرض فاستويت عليها » .

وفى تبرير استصعاب البراق جزم السهيلى أنه : « إنما استصعب عليه صلى الله عليه وسلم لبعد عهده بركوب الأنبياء قبله » وهذا مبنى على قول الزبيدى فى مختصر العين ،

وصاحب التحرير : « هى دابة كان الأنبياء — صلوات الله و[illegible]مه عليهم — يركبونها » .. قال النووى فى (الشرح) : « وهذا الذى قالاه من اشتراك جميع الأنبياء فيها يحتاج إلى نقل صحيح » (١).

ومن الأخبار الواهية التى نوه على ضعفها الحافظ فى (الفتح) ما جاء من أن البراق لما عاتبه جبريل قال له معتذرا : إنه مس الصفراء اليوم ، وأن الصفراء صنم من ذهب كان عند الكعبة ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم مر به فقال : « تبًّا لمن يعبدك من دون الله » وأنه صلى الله عليه وسلم نهى زيد بن حارثة أن يمسه بعد ذلك ، وكسره يوم فتح مكة (٢).

بينما قال ابن المنير : « إنما استصعب البراق تيها ، وزهوا بركوب النبى صلى الله عليه وسلم وأراد جبريل استنطاقه ، فلذلك خجل وارْفَضَّ عرقا من ذلك .

قال الحافظ فى (الفتح) : « وقريب من ذلك رجفة الجبل

(١) (صحيح مسلم بشرح النووى) — طبعة المكتب الثقافى — القاهرة — الجزء الأول — صفحة ٣٨٨ .

(٢) (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) — المصدر الأسبق — صفحة ٢٤٧ / ٧ .

به ، حتى قال له : (اثبت، فإنما عليك نبى وصديق وشهيد) فإنها هزة الطرب لا هزة الغضب »[1].

واختلف فى ركوب جبريل مع النبى صلى الله عليه وسلم على البراق ، وأمكن التأويل أيضا ، ولهذا يقول الحافظ : « ووقع فى حديث حذيفة عند أحمد قال : (أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق ، فلم يزايل ظهره هو وجبريل حتى انتهيا إلى بيت المقدس) .. فهذا لم يسنده حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم فيحتمل أنه قاله عن اجتهاد ، ويحتمل أن يكون قوله : معناه : « هو وجبريل » يتعلق بمرافقته فى السير لا فى الركوب ، قال ابن دحية وغيره : وجبريل قائد أو سائق أو دليل ، قال : وإنما جزمنا بذلك لأن قصة المعراج كانت كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم فلا مدخل لغيره فيها .

« قلت ــ الحافظ ــ : ويرد التأويل المذكور أن فى صحيح ابن حبان من حديث ابن مسعود (أن جبريل حمله على البراق رديفا له) ، وفى رواية الحارث فى مسنده : (أتى بالبراق فركب خلف جبريل فسار بهما) ، فهذا صريح فى ركوبه معه ، فالله أعلم .

---

(١) (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) المصدر الأسبق ــ صفحة ٢٤٧ / ٧ .

« وأيضا فإن ظاهره أن المعراج وقع للنبى صلى الله عليه وسلم على ظهر البراق إلى أن صعد السموات كلها ووصل إلى ما وصل ، ورجع وهو على حاله . وفيه نظر لما سأذكره . ولعل حذيفة إنما أشار إلى ما وقع فى ليلة الإسراء المجردة التى لم يقع فيها معراج على ماتقدم من تقرير وقوع الإسراء مرتين » [1] .

ثم اختلفت الروايات فى مسألة صعوده إلى السموات : هل صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات السبع راكباالبراق — كما هو مقتضى كلام ابن أبى جمرة فى قوله : (حتى أتى السماء الدنيا) — أم أنه ترك البراق فى بيت المقدس وصعد على المعراج — كما ورد فى الأحاديث الأخرى كحديث ابن إسحاق : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لما فرغت مما كان فى بيت المقدس ، أتى بالمعراج ، فلم أر قط شيئا أحسن منه ، وهو الذى يمد إليه الميت عينيه إذا حضر ، فأصعدنى صاحبى فيه ، حتى انتهى بى إلى باب من أبواب السماء .. » وفى رواية لكعب : « فوضعت له صلى الله عليه وسلم مِرْقَاة من ذهب ، حتى عرج هو وجبريل » — وفى رواية لأبى سعيد فى (شرف المصطفى) : أنه أتى بالمعراج من جنة الفردوس ، وأنه منضد باللؤلؤ ، وعن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة »

(١) المصدر السابق : صفحتا ٢٤٧ ، ٢٤٨ / ٧ .

ومقتضى الروايات التى تنكر صعود البراق فى رحلة المعراج أن رسول لله صلى الله عليه وسلم قد ربطه فى بيت المقدس قبل دخول المسجد فى الحلقة التى تربط بها الأنبياء — وفى رواية بريدة عند البزار : « لما كان ليلة أسرى به فأتى جبريل الصخرة التى ببيت المقدس ، فوضع أصبعه فيها ، فخرقها ، فشبر بها البراق » .

ولكن الصحابى حذيفة بن اليمان — رضى الله عنه — استنكر ذلك القول ، فقد روى أحمد والترمذى قوله : « تحدثون أنه ربطه ؟! أخاف أن يفر منه ؟ وقد سخره عالم الغيب والشهادة » [1].

ويرد على ذلك البيهقى قائلًا : « المثبت مقدم على النافى » أى : أن من أثبت ربط البراق والصلاة فى بيت المقدس معه زيادة علم — على حد قول الحافظ [2]— على من نفى ذلك ، فهو أولى بالقبول .

واستفاد من ذلك بعض الشارحين بأن « فى ربط البراق الأخذ بالاحتياط فى الأمور وتعاطى الأسباب ، وأن ذلك لا

---

(١) رواه أحمد : ثنا أبو النضر ثنا سليمان ، عن شيبان ، عن عاصم ، عن زر بن حبيش ، ورواه أيضا أبوداود والطيالسى عن حماد بن سلمة عن عاصم ، ورواه الترمذى والنسائى عن عاصم . وقال الترمذى : حديث حسن . وهو فى تفسير ابن كثير — مصدر سابق — ص ٢٥٤ / ٤ .

(٢) (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) : صفحة ٢٤٨ / ٧ .

يقدح فى التوكل إذا كان الاعتماد على الله — تعالى — والله أعلم . قاله النووى فى (الشرح)[1].

وفى عصرنا الحالى خرج المعترضون على وجود البراق أصلًا ، على أساس أن ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو خرق لقوانين المادة ، فما حاجته إلى حيوان كالبراق يحتاج الأمر إلى ربطه بجوار بيت المقدس ؟ وهل احتاج عرش بلقيس لنقله إلى حمار أو بغل ؟ والله — سبحانه — يخضع له ما فى السموات والأرض ، وكل ما فيها طوع كلمة (كُنْ) .

يقول الأستاذ عبدالحميد جودة السحار : « إن آية الإسراء لم تذكر أنه كان محمولًا على شىء إنه كان يسبح فى الفضاء بقدرة الله التى لا تحد ، بعد أن أصبح حقيقة كونية فى غير حالتها الأرضية الناقصة فإن كان قد قيل : إنه ركب البراق فقد يكون المقصود البرق ، أو أية قوة كهربية ولا يمكن فى حالة إسراء الله بعبده أن تجرى أحكام الحواس ولا أحكام المادة »[2] .

ونحن نخالف الأستاذ السحار فى هذا القطع ، ونستشهد بما نعلمه من نزول جبريل — عليه السلام — بالوحى على سيد

---

(١) (صحيح مسلم بشرح النووى) : صفحة ٣٨٩ / ١ .
(٢) (الإسراء والمعراج) — مكتبة مصر — القاهرة — بدون تاريخ — صفحة ٢٥ .

المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ولا خلاف فى ذلك ، فلم يكن الله — سبحانه وتعالى — فى حاجة إلى هذه الواسطة لإبلاغ الوحى ، وهو الغنى — سبحانه — نستغفره من زلات الألسن ، بل بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم هى سبب الحاجة إلى هذه الواسطة التى تتشكل فى أشكال مما تألفه الحواس الإنسانية فلا تجزع منه ، وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل على صورته إلا مرتين ، فى المعراج .

واختيار وسيلة البراق فى إنجاز معجزة الإسراء والمعراج يحمل إشارة لطيفة يشير إليها فضيلة الشيخ محمود وفا هاشم فى قوله : « كان فى استطاعة العلى القدير أن ينقله فى لمح البصر إلى حيث يشاء وأنى يريد ، ولكنه يرسم لنا عن هذا الطريق اتخاذ الوسائل والتذرع بالأسباب القوية السريعة الموصلة للهدف المحققة للغرض ليشرف الإنسان من ورائها إلى الغاية المرجوة »[1].

فاختيار وسيلة البراق إذن فيه إشارة إلى ضرورة الأخذ بالأسباب ، كما كان ربطه فى بيت المقدس رغم عدم الحاجة إلى ذلك تدريباً على الأخذ بالأسباب ، والقصة مليئة بالإشارات والدلالات لكل ذى بصيرة وجلاء .

(١) مقال بعنوان (رحلة إلى السماء) — مجلة (منبر الإسلام) — العدد — ٧ — السنة ٢٥ — رجب ١٣٨٧ / أكتوبر ١٩٦٧ م — الملحق : صفحة ٥ .

ذكر المعراج

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لما فرغت مما كان في بيت المقدس ، أتي بالمعراج ، ولم أر شيئا قط أحسن منه ، وهو الذي يمد إليه ميتكم عينيه إذا حضر ، فأصعدني صاحبي فيه ، حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء ، يقال له : باب الحفظة ، عليه ملك من الملائكة يقال له : إسماعيل ، تحت يديه اثنا عشر ألف ملك ، تحت يدي كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك . قال : يقول رسول الله ﷺ حين حدث بهذا الحديث : وما يعلم جنود ربك إلا هو ، فلما دخل بي قال : من هذا ياجبريل ؟ قال : محمد .. قال : أو قد بعث ؟ قال : نعم . قال : فدعا لي بخير .. وقاله .

• قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم عمن حدثه عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : تلقتني الملائكة حين دخلت السماء الدنيا ، فلم يلقني ملك إلا ضاحكاً مستبشرًا ، يقول خيرا ويدعو به ، حتى لقيني ملك من الملائكة ، فقال مثل ماقالوا ، ودعا بمثل مادعوا به ، إلا أنه لم يضحك ، ولم أر منه من البشر مثل مارأيت من غيره ، فقلت لجبريل : ياجبريل من هذا الملك الذي قال لي كما قالت الملائكة ولم يضحك ، ولم أر منه من البشر مثل الذي رأيت من غيره ؟ قال : فقال لي جبريل : أما إنه لو ضحك لأحد كان قبلك ، أو كان ضاحكا لأحد بعدك ، لضحك إليك .. ولكنه لا يضحك ، هذا مالك صاحب النار ، فقال رسول الله ﷺ ، فقلت لجبريل : وهو من الله تعالى بالمكان الذي وصف لكم ، ﴿ مطاع ثم أمين ﴾ : ألا تأمره أن يريني النار ؟ فقال : بلى ، يامالك ، أر محمدا النار . قال : فكشف عنها غطاءها ، ففارت وارتفعت ، حتى ظننت لتأخذن ما أرى ، قال : فأمره ، فقال لها : اخبى ، فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه ، فما شبهت رجوعها إلا وقوع الظل ، حتى إذا دخلت من حيث خرجت رد عليها غطاءها .

قال أبو سعيد الخدرى فى حديثه : إن رسول الله ﷺ قال : لما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رجلا جالسا تعرض عليه أرواح بنى آدم ، فيقول لبعضها إذا عرضت عليه خيرا ، ويسر به ، ويقول : روح طيبة ، خرجت من جسد طيب ، ويقول لبعضها إذا عرضت عليه : أف ، ويعبس بوجهه ، ويقول : روح خبيثة ، خرجت من جسد خبيث . قال : قلت : من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا أبوك آدم ، تعرض عليه أرواح ذريته ، فإذا مرت به روح المؤمن منهم سر بها ، وقال : روح طيبة ، خرجت من جسد طيب ، وإذا مرت به روح الكافر منهم أنف منها وكرهها ، وساءه ذلك ، وقال : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث .

قال : ثم رأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الإبل ، فى يديهم قطع من نار كالأفهار ، يقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدبارهم ، فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما .

قال : ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون ، يمرون عليهم كالإبل المهيومة ، حين يعرضون على النار ، يطئونهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك . قال : قلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا . قال : ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحم سمين طيب ، إلى جنبه لحم غث منتن ، يأكلون من الغث المنتن ، ويتركون السمين الطيب . قال : قلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ، ويذهبون إلى ماحرم الله عليهم منهن .

قال : ثم رأيت نساء معلقات بثديهن ، فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتى أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى جعفر بن عمرو عن القاسم بن محمد ، أن رسول الله ﷺ قال : اشتد غضب الله على امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم ، فأكل حرائبهم ، وطلع على عوراتهم .

ثم رجع إلى حديث أبى سعيد الخدرى ، قال : ثم أصعدنى إلى السماء الثانية ، فإذا فيها ابنا الخالة عيسى ابن مريم ، ويحيى بن زكريا ، قال : ثم

أصعدنى إلى السماء الثالثة ، فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر ، قال : قلت : من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا أخوك يوسف بن يعقوب . قال : ثم أصعدنى إلى السماء الرابعة فإذا فيها رجل فسألته من هو ؟ قال : هذا إدريس - قال : يقول رسول الله ﷺ - ورفعناه مكانا علياً - قال : ثم أصعدنى إلى السماء الخامسة فإذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية ، عظيم العثنون ، لم أر كهلا أجمل منه ، قال : قلت : من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا المحبب فى قومه ، هارون بن عمران .. قال : ثم أصعدنى إلى السماء السادسة ، فإذا فيها رجل آدم طويل ، أقنى . كأنه من رجال شنوءة . فقلت له : من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا أخوك موسى بن عمران ، ثم أصعدنى إلى السماء السابعة ، فإذا فيها كهل جالس على كرسى إلى باب البيت المعمور ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة ، لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ، قال : قلت : من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم .. قال : ثم دخل بى الجنة ، فرأيت فيها جارية لعساء ، فسألتها : لمن أنت ؟ وقد أعجبتنى حين رأيتها . فقالت : لزيد بن حارثة ، فبشر بها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة .

قال ابن إسحاق : ومن حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ ، فيما بلغنى أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن فى دخولها : من هذا ياجبريل ؟ فيقول : محمد . فيقولون : أو قد بعث إليه ؟ فيقول : نعم .. فيقولون : حياه الله من أخ وصاحب ، حتى انتهى به إلى السماء السابعة ، ثم انتهى به إلى ربه ، ففرض عليه خمسين صلاة فى كل يوم .

قال رسول الله ﷺ : فأقبلت راجعا ، فلما مررت بموسى بن عمران ، ونعم الصاحب كان لكم ، سألنى : كم فرض عليك من الصلاة ؟ فقلت : خمسين صلاة كل يوم ، فقال : إن الصلاة ثقيلة ، وإن أمتك ضعيفة ، فارجع إلى ربك ، فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك .. فرجعت ، فسألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى ، فوضع عنى عشراً ، ثم انصرفت ، فمررت على موسى فقال لى مثل ذلك ، فرجعت فسألت ربى فوضع عنى عشرا ، ثم لم يزل يقول

لى مثل ذلك كلما رجعت إليه قال : فارجع فاسأل ربك ، حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عنى إلا خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، ثم رجعت إلى موسى ، فقال لى مثل ذلك ، فقلت : قد راجعت ربى ، وسألته حتى استحييت منه ، فما أنا بفاعل .

فمن أداهن منكم إيمانا واحتساباً لهن ، كان له أجر خمسين صلاة .



لماذا كان ليلاً

١ ـ لم كان المعراج ليلا (١) ؟ أجيب عن هـذا السؤال بعشرة أجوبة نختار هنا بعضا منها فنقول :

١ ـ الليل وقت الخلوة ومجالسة الملوك ، ووقت مناجاة الأحبة •

٢ ـ أكرم الله عز وجل جماعة من أنبيائه عليهم السلام بأنواع من الكرامات ليلا ، قال تعالى فى قصة ابراهيم عليه السلام : **« فلما جن عليه الليل رأى كوكبا »** (٢) •

وقال فى قصة لوط عليه السلام :

« فاسر باهلك بقطع من الليل » (٣) وقال فى قصة موسى عليه السلام :

« فاسر بعبادى ليلا انكم متبعون » (٤) •

---

(١) لفظ « ليلا » لم يذكر فى حديثنا • لكن ورد ذكره فى الروايات الصحيحة المذكورة فى البخارى ومسلم وغيرهما • وسبق ان قلنا فى أول هذا البحث : ان الرأى الصحيح عند الجمهور وقوع الاسراء والمعراج فى ليلة واحدة • فليراجع •

(٢) الآية ٧٦ من سورة الانعام •

(٣) الآية ٨١ من سورة هود •

(٤) الآية ٢٣ من سورة الدخان •

٣ ــ ان الليل هو الأصل لا النهار ، ولهــذا كــان الليل أول الشهور •

٤ ــ الليل محل استجابــة الــدعاء والغفــران والعطاء •

٥ ــ الليل وقت الاجتهاد للعبادة ، وكان قيــام الليل فى حقه ــ صلى الله عليه وسلم ــ واجبا حيث قال تعالى : **«يا أيها المزمل • قم الليل الا قليلا»(١)** وقال تعالى له : « **ومن الليل فتهجد به** » **(٢)** •

٦ ــ ليكون أجر المصدق بالمعراج ليلا أكثر لدخوله فيمن آمن بالغيب من عاينه بالنهار •

وهناك أجوبة أخرى تركناها اكتفاء بما ذكرنا •

٢ ــ ما حكمة كون المعراج بعد الاسراء عــرج به ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد الاسراء ليجمع النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى تلك الليلــة بين رؤية القبلتين ، وقيل : لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الأنبياء قبله ، فرحل اليــه أولا ليجمــع بين أشتات الفضائل •

---

(١) الآيتان ١ ــ ٢ من سورة المزمل •
(٢) الآية ٧٩ من سورة الاسراء •

وأقول :

يمكن أن يقال : كان المعراج بعد الاسراء تدرجا من من رؤية بعض الآيات الكبرى فى الأرض أولا فيطمع فى المزيد منها ، ثم يرى فى سدرة المنتهى ما يعجز اللسان عن وصفه .

٣ — اذا نصب للنبى — صلى الله عليه وسلم — المعراج (١) فصعد الى السموات مع قدرته عز وجل على رفعه فى أقل من طرفة عين ؟

أجيب بأن ذلك للتأنيس بالعادة فى مقام خرق العادة .

ويمكن أن يقال : ان الملك اذا طلب من يحبه بعث اليه مركوبا تكريما له . وأجاب « النبى » فى شرحه بما وقع فى خاطره من الفيض الالهى : ان طى الأرض يقصد المسافات أرضية كانت أو فضائية — يشترك

---

(١) فى حديثنا : ركب النبى صلى الله عليه وسلم البراق الى المسجد الاقصى ثم عرج به . قال أهل السير والمفسرون : أتى الى بيت المقدس راكبا البراق الذى بقى مربوطا بالحلقة فنصب للنبى صلى الله عليه وسلم المعراج فصعد فيه . اذن فى حديثنا حذف تقديره ، ثم أتى المعراج فعرج به .

فيه الأولياء بخلاف المركوب الذى يقطع المسافات البعيدة براكبه أسرع من طرفة عين ، فان ذلك مخصوص بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

٤ ــ لماذا غسل قلبه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قبل العروج (١) ؟

أجيب بأنه كان فى الطست شىء يحصل به الكمال والحكمة وزيادتهما ليكون مستعدا لتلقى ما سيحصل له وليزداد طمأنينة لما سيرى فى تلك الليلة من عظيم الملكوت وليتأهب لمناجاة ذى العرش والجلال عند سدرة المنتهى .

٥ ــ كيف رأى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ والأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل العروج كما هو الراجح وفى السموات مع أن أجسادهم فى قبورهم فى الأرض ؟ .

أجيب :

(١) جاء فى الروايات الصحيحة المذكورة فى البخارى ومسلم وغيرهما .. فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا .. الخ

بأن أرواحهم تشكلت بصور أجسادهم فأحضرت أجسادهم لملاقاة النبى — صلى الله عليه وسلم — فى تلك الليلة تشريفا له وتكريما ، وما ذلك على الله بعزيز .

ومنهم من قال :

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء فقد رآهم النبى صلى الله عليه وسلم حقيقة .

٦ — ما الحكمة فى أن النبى — صلى الله عليه وسلم — رأى خلف أبواب السموات ثمانية من الأنبياء عليهم السلام دون غيرهم ، وتبادل معهم السلام .

أجيب عن ذلك .

بأن آدم خرج من الجنة بعداوة ابليس والنبى — صلى الله عليه وسلم — خرج من مكة بأذى قومه له .

وادريس عليه السلام أول من كتب بالقلم والنبى — صلى الله عليه وسلم — أول من كتب الى الآفاق يدعو أهلها الى الاسلام .

وابراهيم عليه السلام قام بالأذان الى الحج وتنظيم البيت ، والنبى — صلى الله عليه وسلم — قال فى حجة الوداع : « خذوا عنى مناسككم » .

وموسى عليه السلام آل أمره الى قهر الجبابرة فى البحر قال تعالى : « **فغشيهم من اليم ما غشيهم** » (١) والنبى — صلى الله عليه وسلم — فتح مكة وقهر الجبابرة من قريش .

وعيسى عليه السلام أراد اليهود قتله فرفعه الله اليه ، والنبى — صلى الله عليه وسلم — أرادوا قتله بالشاة المسمومة فنجاه الله تعالى .

ويحيى عليه السلام رأى من اليهود مالا يوصف حتى ذبحوه والنبى — صلى الله عليه وسلم — رأى من قريش ما لا يوصف ولكن الله تعالى نجاه منهم.
ويوسف عليه السلام عفا عن اخوته ، والنبى — صلى الله عليه وسلم عفا عن قريش يوم فتح مكة .
وهارون عليه السلام رجع قومه الى محبته بعد

(١) ٧٨ من سورة طه .

بعض العجائب التى رآها النبى

فى ليلة المعراج

رأى النبى ﷺ ليلة المعراج عجـائب كثيرة ورد ذكرها فى الأحاديث المروية عنه ﷺ • لبعضها علاقة بأحوال الآخرة ، ويعتبر البعض الآخر منها كوسائل ايضاح لعاقبة الذين يعصون الله سبحانه : لا يفعلون ما أمرهم به ، ولا يجتنبون ما نهاهم عنه • نذكر هنا بعضا من هذه العجائب :

١ — لما دخل النبى ﷺ السماء الدنيا رحب بـه الملائكة ضاحكين مستبشرين الا ملكا رحب به مثلهم ولكنه لم يضحك فسأل عنه جبريل فقال : هذا مالك خازن النار لم يضحك قط ولم يبتسـم قط ولم يزل عابسا كالحا مغضبا من شدة غضبه على أهـل النار لغضب ربهم عليهم •

فقال النبى ﷺ :

«ياجبريل ألا تأمره أن يرينى النار قال : بلى • قال جبريل : يا مالك ان محمدا رسول الله يريد أن ينظر الى النار ، قال : فكشف لى عن غطائها ففارت النار

وارتفعت وهى سوداء مظلمة لها زفير وشهيق فطارت وارتفعت حتى ظننت أنها ستأخذنى فقلت يا جبريل : مره فليردها فقال جبريل : يا مالك اردها الى مكانها فقال لها مالك فرجعت الى مكانها •

٢ — رأى رجلا جالسا تعرض عليه أرواح بنى آدم فيقول لبعضها اذا عرضت عليه : خيرا وليس به ويقول : روح طيبة خرجت من جسد طيب • ويقول لبعضها اذا عرضت عليه : أف ويعبس فى وجهه ويقول : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث • قال ﷺ : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك آدم تعرض عليه أرواح ذريته ، فاذا مرت به روح المؤمن منهم سر بها • واذا مرت به روح الكافر منهم أنف منها وكرهها •

٣ — رأى رجالا لهم مشافر كمشافر الابل فى أيديهم قطع من النار كالأفهر (١) يقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدبارهم ، فقال من هؤلاء يا جبريل ؟ قال جبريل : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما •

---

(١) الافهار : جمع الفهرة وهى حجر رقيق يستخدمه الاطباء فى سحق الادوية

٤ — رأى رجالا لهم بطون لم ير مثلها قط يعرضون على النار لا يستطيعون أن يتحـــولوا من مكانهم ، فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال جبريل : هؤلاء أكلة الربـــا •

٥ — رأى رجالا بين أيديهم لحم ســـمين طيب ، الى جنبه لحم غث منتن ، يأكلـــون من الغث المنتن ويتركون السمين الطيب فقال لجبريل : من هؤلاء ؟ قال جبريل : هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ويذهبون الى ما حرم الله عليهم منهن •

٦ — رأى نساء معلقات بأثدائهن فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال جبريل : هـــؤلاء اللاتى أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم • ومن أراد المزيد من هذه العجائب فليرجع الى كتب الحديث والســـيرة النبوية الشريفة •

« فرض الصلاة »

من المعلوم من الدين بالضرورة أن الصلاة قد فرضت على المسلمين ليلة الإسراء والمعراج خمسين صلاة في اليوم والليلة ، وطلب النبي ﷺ التخفيف ، فاستقرت خمساً في الأداء ، وخمسين في الأجر والجزاء ، ولكن الثابت أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يصلي في مكة قبل الإسراء ، فكيف وفق العلماء بين الصلاة قبل الإسراء ، وحديث فرضيتها ليلة الإسراء ، في حالة العروج إلى السموات العلا :

في كتاب «خاتم النبيين» للشيخ محمد أبو زهرة حديث عن ذلك يقول فيه :

عندما نزل قوله تعالى : ﴿ يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر ﴾ كان التكليف لتبليغ الرسالة والدعوة إلى أمر الله ودينه ، ولا دين بغير صلاة ، لأنه لا بد لكل دين من عبادة ، ولا عبادة من غير صلاة ، فهي عمود الدين ، وركنه الركين .

ولذلك اقترن التبليغ بفرضية الصلاة اقتراناً زمنياً ، لأن الصلاة مقترنة بكل دين اقتراناً عملياً .

ولقد قال الرواة أن الصلاة فرضت ركعتين بمجرد البعثة المحمدية ، وكانت تصلى مرتين : أولاهما في الصباح ، والثانية في المساء ، وفرضت ركعتين في كل منهما . ولقد قال في ذلك المزني من أصحاب الشافعي رضي الله عنه ، إن الصلاة كانت مفروضة قبل الإسراء ، كانت صلاة قبل غروب الشمس ، وصلاة قبل طلوعها ، ويشهد لهذا قول الله تعالى : ﴿ وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار ﴾ .

خلعت حلتها على نبيهم فى تلك الليلة . وبها يتغلبون على الشهوات والأهواء . وبها تغرس فى قلوبهم مكارم الأخلاق ، ويطهرون نفوسهم من صفات الجبن والبخل والهلع والجزع ، وبها يستعينون على مشاق الحياة كما استعان محمد بها على مشاق الحياة ومصائب القوم ، ﴿ **يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة** ﴾ . ﴿ **إن الإنسان خلق هلوعا ﴿ إذا مسه الشر جزوعا ﴿ وإذا مسه الخير منوعا ﴿ إلا المصلين ﴿ الذين هم على صلاتهم دائمون** ﴾ .

الصلاة .. عبادة ، لم يفرضها الله سبحانه وتعالى كما فرض غيرها من الواجبات والأركان ، وإنما فرضها فى كوكبة من الملأ الأعلى ، وفى جذوة من الإشراق والأنوار ، تنويها بشأنها ، ورمزا لمكانتها .

فلنذكر كل ذلك ، ولنذكر أن الرسول ﷺ الذى نال فخر الإسراء ، كان يحن دائما إلى مناجاة ربه ، والوقوف بين يديه ، حتى كان لا يجد له لذة إلا فى تلك المناجاة ، فهو القائل ﴿ **وجعلت قرة عينى فى الصلاة** ﴾ ، فهى طهرة للقلب ، ومعراج للرب ، وإسراء إلى ساحة الفضل ، فمن شاء أن يسرى به ربه ، وأن تعرج به ملائكة الرحمة ، فليحافظ عليها ، وليدم مناجاة ربه بها ، وليحسن وقوفه بين يديه .. ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين** ﴾ .



أن آذوه ، والنبى — صلى الله عليه وسلم — رجع اليه أكثر قومه بعد أن عادوه .

٧ — ما الحكمة فى وقوع المراجعة مع موسى عليه السلام دون غيره من الأنبياء وكيف جاز وقوع التردد والمراجعة بين محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام ؟

أجيب بأن موسى عليه السلام كان أول من سبق اليه حين فرضت الصلاة فجعل الله ذلك فى قلب موسى عليه السلام ليتم ما سبق من علم الله تعالى من أنها خمس فى العمل وخمسون فى الثواب .

وجاز وقوع التردد والمراجعة لعلمهما أن التحديد الأول غير واجب قطعا ، ولو كان واجبا قطعا لما كان يقبل التخفيف ولا كان النبيان يفعلان ذلك .

٨ — لماذا كان اعتناء موسى عليه السلام بأمة محمد أكثر من غيره من الأنبياء الذين رآهم النبى — صلى الله عليه وسلم — ليلة المعراج ؟

أجيب :

بأنه لما رأى من كرامتهم على ربهم ، قال : اللهم اجعلنى من أمة محمد — صلى الله عليه وسلم —

* يقول القرطبى : الحكمة فى تخصيص موسى بمراجعة النبى ﷺ فى أمر الصلاة ، لعلها لكون أمة موسى كلفت من الصلاة مالم يكلف به غيرها من الأمم ، فثقلت عليهم ، فأشفق موسى على أمة محمد من مثل ذلك .. ويشير إلى ذلك قوله : « إنى جربت الناس قبلك » .

* وقال بعضهم : يحتمل أن يكون موسى لما غلب عليه الأسف فى الابتداء على نقص حظ أمته بالنسبة لأمة محمد ﷺ ، حتى تمنى ماتمنى ، يحتمل أن يكون قد استدرك ذلك ببذل النصيحة لهم ، والشفقة عليهم ، ليزيل ماعساه أن يتوهم عليه فيما وقع منه فى الابتداء .

وهذا كلام جيد ، وبضمه إلى ماقاله القرطبى يتم المقصود .



للمسلمين اتباع محمد — صلى الله عليه وسلم — معراجه ؟

نقل عن على الدقاق — رضى الله عنه — أنه كان يقول :

ان نبينا — صلى الله عليه وسلم — أتى لأمتـه بالمعراج على التحقيق . فالصلاة للمسلمين بمنزلة المعراج .

كان لمعراج النبى — صلى الله عليه وسلم — ثلاث منازل :

المنزلة الأولى :

من الحرم الى المسجد الأقصى .

المنزلة الثانية : من المسجد الأقصى الى سدرة المنتهى .

المنزلة الثالثة : من سدرة المنتهى الى قاب قوسين أو أدنى .

فكذلك لنا الصلاة ثلاث منازل : القيام ، ثم الركوع ثم السجود وهو نهاية القربة . قال الله تعالى :

« واسجد واقترب » (١) .

---

(١) الآية ١٦ من سورة العلق .

فى رؤية الله تعالى

وهذه أيضا من المعضلات فى حادثة الإسراء والمعراج ، اختلف فيها جمع كبير من الصحابة والعلماء من بعدهم ، واشتهر ذلك الخلاف جدا ، حتى ردده الخطباء على المنابر والكتاب فى الصحف والمتفيهقون فى أحاديثهم دون علم . والرؤية ثابتة والاختلاف فى كنهها ، ولا يصعب إن شاء الله تمييز الحق أبدا عند النظر فى الأقوال المتعارضة مع استحضار التنزيه الواجب للجليل المتعال .

يستند القائلون برؤية النبى صلى الله عليه وسلم لربه على ما رواه الترمذى من طريق مجالد عن الشعبى قال : « لقى ابن عباس كعبا بعرفة فسأله عن شئ ، فكبر كعب حتى جاوبته الجبال ، فقال ابن عباس : إنا بنو هاشم . فقال له كعب : إن الله قسم رؤيته وكلامه »[1].

(١) المصدر السابق : صفحة ٧٦ من (الإسراء والمعراج) المستل من (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) .

وعند عبد الرزاق فى هذا الوجه : (فقال ابن عباس : إنا بنو هاشم نقول : إن محمدا رأى ربه مرتين . فكبر كعب وقال : إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد ، فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين) قال مسروق : فدخلت على عائشة فقلت : هل رأى محمد ربه ؟ فذكر نفى عائشة — رضى الله عنها — الذى سنذكره قريبا إن شاء الله .

وحكى عبد الرزاق أيضا — على ما جاء فى (الفتح) — عن معمر عن الحسن أنه حلف أن محمدا رأى ربه . ولابن مردويه من طريق إسماعيل بن أبى خالد عن الشعبى عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن كعب مثله . وأخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير إثباتها ، وكان يشتد عليه إذا ذكر له إنكار عائشة ، وبه قال سائر أصحاب ابن عباس ، وجزم به كعب الأحبار والزهرى وصاحبه معمر وآخرون .

وهو قول الأشعرى وغالب أتباعه ، وكذا الإمام أحمد .

وأما النفى واستهوال القول بالرؤية وتنزيه الجليل عن ذلك فترفع لواءه أم المؤمنين عائشة — رضى الله عنها — فقد أخرج البخارى عن مسروق : قلت لعائشة — رضى الله عنها — : يا أمتاه ، هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ؟ فقالت : لقد قَفَّ شعرى مما قلت ، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب :

ـــ من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب . ثم قرأت : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [١] ، ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ ﴾ [٢] . ـــ ومن حدثك انه يعلم ما فى غد فقد كذب . ثم قرأت ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ [٣] ـــ ومن حدثك أنه كتم فقد كذب . ثم قرأت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [٤] الآية . ولكن رأى جبريل ـــ عليه السلام ـــ فى صورته مرتين [٥]

واعترض أنصار الرؤية حديث عائشة هذا ، وخالفوها فى فهم الآيات . فأخرج الترمذى من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال : « رأى محمد ربه ، قلت : أليس الله يقول : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ ؟ قال : ويحك ، ذاك إذا تجلى بنوره الذى هو نوره ، وقد رأى ربه مرتين » وقال النووى : « فأما احتجاج عائشة بقول الله تعالى :

(١) سورة الأنعام : الآية ١٠٣

(٢) سورة الشورى : الآية ٥١

(٣) سورة لقمان : الآية ٣٤

(٤) سورة المائدة : ٦٧

(٥) انظر (صحيح البخارى) ـــ كتاب التفسير ـــ تفسير سورة النجم ـــ حديث رقم ٤٨٥٥ فى ترقيم (فتح البارى) ـــ مصدر سابق .

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَٰرُ ﴾ فجوابه ظاهر ، فإن الإدارك هو الإحاطة والله — تعالى — لايحاط به ، وإذا ورد نص بنفى الإحاطة لايلزم منه نفى الرؤية بغير إحاطة »[1] وأما حديثها فى نفى الرؤية فقال عنه : « لم تخبر أنها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : لم أر ربى ، وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى .. والصحابى إذا قال قولًا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة »[2].

ولكن الحافظ فى (الفتح) تتبع هذا القول ، وتعجب منه فقال : « وهو عجيب ، فقد ثبت ذلك عنها فى (صحيح مسلم) الذى شرحه الشيخ — يعنى النووى نفسه — فعنده من طريق داود بن أبى هند عن الشعبى عن مسروق : « وكنت متكئا فجلست ، فقلت : ألم يقل ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ ؟ فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال : « إنما هو جبريل » وأخرجه ابن مردويه من طريق آخر عن داود بهذا الإسناد : « فقالت : أنا أول من سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا ، فقلت : يا رسول الله ، هل رأيت ربك ؟ فقال : لا ؛ إنما رأيت جبريل منهبطا »[3].

(١) (صحيح مسلم بشرح النووى) — طبعة المكتب الثقافى — القاهرة — صفحة ٤١٧ / ١ .

(٢) المصدر السابق : صفحة ٤١٦ / ١ .

(٣) (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) — ط .الريان — صفحة ٤٣٣ / ٨ .

فعائشة إذن — رضى الله عنها — لم تقل بالرأى فى هذه المسألة ، ولا نجد محلا لما بنى على الاعتقاد الخاطىء فى ذلك من استنتاجات كقول معمر بن راشد : ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس [1] أو قول أبى عبد الله أحمد بن حنبل فى جوابه على من سأله : إنهم يقولون : إن عائشة قالت : من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية . فبأى شىء يدفع قولها ؟ قال : يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « رأيت ربى » قول النبى صلى الله عليه وسلم أكبر من قولها [2] أقول : لا محل لهذه المقارنات جميعا ، إذ لا تعارض فى الحقيقة بين قولى عائشة وابن عباس — رضى الله عنهم — ويسقط التعارض بتأويل قوله صلى الله عليه وسلم : « رأيت ربى » بما يخرج عن رؤية البصر بعينى الرأس . وقد أنكر ابن قيم الجوزية أن يكون أحمد بن حنبل قد قاله . قال ابن القيم : « لم يقل أحمد — رحمه الله تعالى — : إنه رآه بعينى رأسه يقظة ، ومن حكى عنه ذلك فقد وهم عليه ، ولكن قال مرة : رآه ، ومرة قال : رآه بفؤاده فحكيت عنه روايتان ، وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه : إنه رآه بعينى رأسه ، وهذه نصوص أحمد موجودة ، ليس فيها ذلك » [3].

(١) (صحيح مسلم بشرح النووى) — صفحة ٤١٦ / ١ .

(٢) (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) — صفحة ٤٧٥ / ٨ .

(٣) (زاد المعاد فى هدى خير العباد) — ط — مؤسسة الرسالة — بيروت — ط ٨ — ١٩٨٥ م صفحة ٣٧ / ٣ .

ونقل ابن القيم — رحمه الله — ما حكاه عثمان بن سعيد الدارمى من اتفاق الصحابة على أنه لم يره وتأييد شيخ الإسلام ابن تيمية لذلك فى قوله : « وليس قول ابن عباس : « إنه رآه » مناقضا لهذا — أى : لاتفاق الصحابة المذكور ، ولا قوله : « رآه بفؤاده » وقد صح عنه أنه قال : « رأيت ربى — تبارك وتعالى » ولكن لم يكن هذا فى الإسراء ، ولكن كان فى المدينة لما احتبس عنهم فى صلاة الصبح ، ثم أخبرهم عن رؤية ربه — تبارك وتعالى — تلك الليلة فى منامه ، وعلى هذا بنى الإمام أحمد — رحمه الله تعالى — وقال : نعم رآه حقا ، فإن رؤيا الأنبياء حق ولابد »[1].

ونقل محقق كتاب (الآية الكبرى فى شرح قصة الإسراء) للسيوطى قول الحافظ ابن كثير فى كتابه (الفصول فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم) : « ورأى — أى : النبى صلى الله عليه وسلم — ربه — عز وجل — ببصره على قول بعضهم ، وهو اختيار أبى بكر بن خزيمة من أهل الحديث ، وتبعه جماعة من المتأخرين . وروى مسلم عن ابن عباس — رضى الله عنهما — أنه رآه بفؤاده مرتين وأنكرت عائشة — رضى الله عنها — رؤية البصر ، وروى مسلم عن أبى ذر

---

(١) (زاد المعاد فى هدى خير العباد) صفحة ٣٧ / ٣ ، وهى أول الفقرة السابقة منه ، فلعلهما جميعا لابن تيمية .

قال : قلت : يارسول الله رأيت ربك ؟ فقال : « نور أنى أراه » .. وإلى هذا مال جماعة من الأئمة قديما وحديثا اعتمادا على هذا الحديث ، واتباعا لقول عائشة — رضى الله عنها — قالوا : هذا مشهور عنها ، ولم يعرف لها مخالف من الصحابة ، إلا ما روى عن ابن عباس أنه رآه بفؤاده ، ونحن نقول به ، وما روى فى ذلك من إثبات الرؤية بالبصر فلا يصح شيء من ذلك ، لا مرفوعا ، بل ولا موقوفا ، والله أعلم » . [1].

قال الحافظ فى (الفتح) : « قلت : جاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة وأخرى مقيدة ، فيجب حمل مطلقها على مقيدها ، فمن ذلك ما أخرجه النسائى بإسناد صحيح وصححه الحاكم أيضا من طريق عكرمة عن ابن عباس ، قال : أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد ؟ وأخرجه ابن خزيمة بلفظ : « إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة » الحديث . وأخرج ابن إسحاق من طريق عبد الله بن أبى سلمة أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس : هل رأى محمد ربه ؟ فأرسل إليه أن نعم . ومنها ما أخرجه مسلم من طريق أبى العالية عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [2] قال : رأى ربه بفؤاده مرتين

(١) (الفصول فى سيرة الرسول) لابن كثير صفحة ٢٦٨ (الآية الكبرى فى شرح قصة الإسراء) — تحقيق محيى الدين مستو — صفحة ١٢٦ .

(٢) الآيتان : ١١ ، ١٣ من سورة النجم .

وله من طريق عطاء عن ابن عباس قال : رآه بقلبه ، وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن مردويه من طريق عطاء عن ابن عباس قال : لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه ، إنما رآه بقلبه .

« وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفى عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر وإثباته على رؤية القلب ، ثم المراد برؤية الفؤاد : رؤية القلب لا مجرد حصول العلم ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله على الدوام . بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التى حصلت له خلقت فى قلبه كما يخلق الرؤية بالعين لغيره ، والرؤية لا يشترط لها شىء مخصوص عقلا ، ولو جرت العادة بخلقها فى العين ، وروى ابن خزيمة بإسناد قوى عن أنس قال : « رأى محمد ربّه » وعند مسلم من حديث أبى ذر أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : « نور أنّى أراه » ولأحمد عنه قال : « رأيت نورا» ولابن خزيمة عنه قال : « رآه بقلبه ولم يره بعينه » وبهذا يتبين مراد أبى ذر بذكر النور أى : النور حال بين رؤيته له ببصره »[1].

---

(١) (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) ـــ مصدر سابق ـــ صفحة ٤٧٤ / ٨

وما دام الأمر كذلك فلا يصح — فى رأينا — الاعتراض على فهم السيدة عائشة للآية الكريمة ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ فما سبق هو شبه اتفاق — بل هو اتفاق — على استحالة الرؤية بالبصر ، أو بعينى الرأس ، أما الرؤية بالقلب أو الفؤاد فلا تتعلق بالآية الكريمة من قريب أو بعيد .

والحق أن معرفة الجليل واستحضار عظمته — سبحانه وتعالى — تجعل من القول برؤيته بالبصر قولًا مَهُولًا ، مع أن نفيه من بدهيات العقيدة وهذا ما وقف شعر أم المؤمنين عائشة لأجله ، ولكن كثرة ترديد الخلاف الظاهرى بين الفريقين ألبسه ثوب القضية العلمية الخطيرة ، حتى توقف بعض العلماء عن الحكم فيها استشعارا لخطورتها ، فهذا ابن جبير يقول : « لا أقول رآه ولا لم يره »[1] وها هو القرطبى فى (الْمُفْهِم) — على ما نقله الحافظ فى (الفتح) — يرجح قول الوقف فى هذه المسألة ويعزوه إلى جماعة من المحققين ، ويؤكد أنه « ليس فى الباب دليل قاطع ، وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل » حتى قوله : « وليست المسألة من العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية ، وإنما هى من المعتقدات فلا يكتفى إلا بالدليل القاطع »[2].

---

(١) (السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج) — لأبى إسحاق النعماني — تحقيق عبد القادر أحمد عطا — مكتبة القرآن — القاهرة بدون تاريخ صفحة ٤٣ .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى — صفحة ٤٧٤ / ٨ .

ومع ذلك أفرط بعض الناس على أنفسهم فى هذه المسألة ، وردوا القول برؤيته — سبحانه — بالأبصار ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، والأمر لله من قبل ومن بعد ، فما الحاجة لمثل قول النسفى والتفتازانى : « رؤية الله تعالى بمعنى الانكشاف التام (بالبصر) ، وإثبات الشيء كما هو جائزة فى العقل ، بمعنى أن العقل إذا خلا ونفسه لم يحكم بامتناع رؤيته ما لم يقم برهان على ذلك ، مع أن الأصل عدمه »[1] ..

ولقد شيد بعضهم منطقا متكاملًا فى جواز الرؤية حكاه أبو إسحاق محمد بن إبراهيم النعمانى الشافعى فى كتابه (السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج) قال : « إنه تعالى موجود ، وكل موجود رؤيته جائزة غير مستحيلة ، والدليل على جوازها فى الدنيا سؤال موسى لها ، ومحال أن يجهل نبى ما يجوز على الله تعالى ومالا يجوز . بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل وفى الآخرة قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[2] ومن السنة الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان عن أبى هريرة « أن ناسا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا

(١) السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج — صفحة ٣٩ .

(٢) الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ من سورة القيامة .

يارسول الله، قال : هل تضارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يارسول الله . قال : فإنكم ترونه كذلك» روى هذا المعنى واحد وعشرون صحابيا. [1] .

نقول ــ والعلم لله وحده ــ : إن الرؤية فى الدنيا غيرممكنة إلا بالقلب أو الفؤاد ، أما البصر الفانى فلا يرى الباقى ــ سبحانه وتعالى ــ [2] ورؤية المؤمنين لربهم فى الآخرة فستكون بعيونهم الباقية التى يخلدون بها فى الجنة ، إذ لا يرى الباقى إلا الباقى . ولقد وجدت نحو هذا القول للإمام مالك ــ رحمه الله ــ فهو الصواب إن شاء الله تعالى .

ورحم الله الإمام النووى فقد غلبه الوهم فى قوله : « إن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينى رأسه ليلة الإسراء » [3]. وقد فصلنا القول فى نفى ذلك وفى ترجيح العلماء بما يشبه الاتفاق على أن الرؤية كانت بالفؤاد أو القلب . وقد تابع قول الإمام النووى فى عصرنا بعض الكتاب دون تروٍّ أو تحقيق ، فكتب الشيخ الطنطاوى أحمد عمر فى (منبر الإسلام) يقول : « وقد رأى

---

(١) المصدر السابق : نفس الصفحة .

(٢) موسى ــ عليه السلام ــ لم يستطع رؤية الله تعالى ، وقيل له ﴿ لن ترانى ﴾ صدق الله العظيم .

(٣) (صحيح مسلم بشرح النووى) ــ صفحة ٤١٦ / ١ .

الصحيحة ، ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله ، حتى يحتاج إلى تأويل[1].

ولكن ابن ميسرة التابعي الكبير وغيره يرون أن المعراج وقع في المنام ، وأنه وقع مرتين : مرة في المنام توطئة وتمهيدا ومرة ثانية في اليقظة ، كما وقع نظير ذلك في ابتداء مجيء الملك بالوحي .. يقول الحافظ في (الفتح) :

« وإلى هذا ذهب المهلب شارح البخارى ، وحكاه عن طائفة ، وأبونصر بن القشيرى ، ومن قبلهم أبوسعيد في (شرف المصطفى) حيث قال : كان للنبي صلى الله عليه وسلم معارج ، منها ما كان في اليقظة ، ومنها ما كان في المنام .

« وحكاه السهيلي عن ابن العربي ، واختاره » وجوز بعض قائلي ذلك أن تكون قصة المنام وقعت قبل المبعث ؛ لأجل قول شريك في روايته عن أنس : « وذلك قبل أن يوحى إليه »[2].

وقال : وقوله : « قبل أن يوحى إليه » أنكرها الخطابي وابن حزم وعبد الحق والقاضي عياض والنووي .

« وعبارة النووي : « وقع في رواية شريك — يعني هذه —

(١) (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) : صفحة ٢٣٧ / ٧ .

(٢) المصدر السابق : نفس الصفحة .

أوهام أنكرها العلماء ، أحدها : قوله : « قبل أن يوحى إليه » وهو غلط لم يوافق عليه . وأجمع العلماء أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء ، فكيف يكون قبل الوحى ؟! » .

« وصرح المذكورون بأن شريكا تفرد بذلك »

وفى دعوى التفرد نظر ، فقد وافقه كثير بن خنيس عن أنس ، كما أخرجه سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى فى كتاب (المغازى) من طريقه »[1].

« وقال بعض المتأخرين : كانت قصة الإسراء فى ليلة ، والمعراج فى ليلة ، متمسكا بما ورد فى حديث أنس من رواية شريك ، من ترك ذكر الإسراء » .

« وكذا فى ظاهر حديث مالك بن صعصعة » .

« ولكن ذلك لا يستلزم التعدد ، بل هو محمول على أن بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر .

« وذهب بعضهم إلى أن الإسراء كان فى اليقظة ، والمعراج كان فى المنام .

أو أن الاختلاف فى كونه يقظة أو مناما خاص بالمعراج لا بالإسراء[2].

(١) المصدر السابق : صفحة ٤٨٨ / ١٣ .
(٢) المصدر السابق : صفحة ٢٣٧ / ٧ .

ثم قال الحافظ فى موضع آخر من (الفتح) — بعد سرده لأدلة القائلين بوقوع المعراج عقب الإسراء فى ليلة واحدة :

« واحتج من زعم أن الإسراء وقع مفردا ، بما أخرجه البزار والطبرانى ، وصححه البيهقى فى (الدلائل) من حديث شداد بن أوس ، قال : قلنا يا رسول الله ، كيف أسرى بك ؟ قال : « صليت صلاة العتمة بمكة ، فأتى جبريل بدابة » ثم ذكر الحديث . قال : « ثم أتيت أصحابى قبل الصبح بمكة » .

« وفى حديث أم هانىء عند ابن إسحاق وأبى يعلى نحو ما فى حديث أبى سعيد هذا » .

« فإن ثبت أن المعراج كان مناما ، على ظاهر رواية شريك عن أنس ، فينتظم من ذلك أن الإسراء وقع مرتين .. وأما كونه قبل البعث فلا يثبت » .

« وجنح الإمام أبو شامة إلى وقوع المعراج مرارا ، واستند إلى ما أخرجه البزار وسعيد بن منصور من طريق أبى عمران الجونى عن أنس .. وذكر الحديث ، ثم قال : ورجاله لابأس بهم ، إلا أن الدارقطنى ذكر له علة تقتضى إرساله » .

« وعلى كل حال ، فهى قصة أخرى ، الظاهر أنها وقعت بالمدينة » .

« ولا بعد فى وقوع أمثالها ، وإنما المستبعد وقوع التعدد فى قصة المعراج التى وقع فيها سؤاله عن كل نبى ، وسؤال أهل كل باب : هل بعث إليه ؟ وفرض الصلوات الخمس .. وغير ذلك فإن تعدد ذلك فى اليقظة لا يتجه .

فيتعين رد بعض الروايات المختلفة إلى بعض ، أو الترجيح .

إلا أنه لا بُعْدَ فى وقوع جميع ذلك فى المنام توطئة ، ثم وقوعه فى اليقظة على وفقه .

ومن المستغرب قول ابن عبد السلام فى (تفسيره) : كان الإسراء فى النوم واليقظة ، ووقع بمكة والمدينة »[1] انتهى .

* * *

ثم اختلفوا فى وقت حدوث المعراج ، ولننقل هنا أيضا ما أورده الحافظ ابن حجر فى ذلك لتتضح للقارىء رحابة الاختلاف بين الروايات ، ومدى تعارضها مع بعضها البعض . يقول الحافظ :

« وقد اختلف فى وقت المعراج ، فقيل : كان قبل المبعث ، وهو شاذ

إلا إن حمل على أنه وقع حينئذ فى المنام كما تقدم .

(١) المصدر السابق : صفحة ٢٣٨ / ٧

وذهب الأكثر إلى أنه كان بعد المبعث .

ثم اختلفوا فقيل : قبل الهجرة بسنة قاله ابن سعد وغيره ، وبه جزم النووى،وبالغ ابن حزم فنقل الإجماع فيه . وهو — أى : الإجماع — مردود ، فإن فى ذلك اختلافا كثيرا ، يزيد على عشرة أقوال :

منها ما حكاه ابن الجوزى أنه كان قبلها بثمانية أشهر .

وقيل : بستة أشهر . وحكى هذا الثانى أبو الربيع بن سالم ..

وقيل : بأحد عشر شهرا . جزم به إبراهيم الحربى .. ، ورجحه ابن المنير فى (شرح السيرة) لابن عبدالبر .

وقيل : قبل الهجرة بسنة وشهرين ، حكاه ابن عبدالبر .

وقيل : قبلها بسنة وثلاثة أشهر ، حكاه ابن فارس .

وقيل : بسنة وخمسة أشهر ، قاله السدى ، وأخرجه من طريقه الطبرى والبيهقى .

فعلى هذا ، كان فى شوال ، أو فى رمضان ، على إلغاء الكسرين منه ، ومن ربيع الأول ، وبه جزم الواقدى .

وعلى ظاهره ينطبق ما ذكره ابن قتيبة ، وحكاه ابن عبدالبر ، أنه كان قبلها بثمانية عشر شهرا ..

وقيل : كان فى رجب ، حكاه ابن عبد البر ، وجزم به النووى فى (الروضة) .

وقيل : قبل الهجرة بثلاث سنين ، حكاه ابن الأثير .

وحكى عياض وتبعه القرطبى والنووى عن الزهرى : أنه كان قبل الهجرة بخمس سنين ، ورجحه عياض ومن تبعه ... [1] إلى أن قال :

« وأما ما ذكره بعض الشراح أنه كان بين الليلتين اللتين أتاه فيهما الملائكة سبع ، وقيل : ثمان ، وقيل : تسع ، وقيل : عشر ، فيحمل على إرادة السنين ، لا كما فهمه الشارح المذكور أنها ليال . وبذلك جزم ابن القيم فى هذا الحديث نفسه .

وأقوى ما يستدل به أن المعراج بعد البعثة قوله فى هذا الحديث نفسه : إن جبريل قال لبواب السماء إذ قال له : أبعث ؟ قال : نعم .. » [2].

ثم يذكر ابن حجر رواية الواقدى بأسانيده فى أول حديث الإسراء :

---

(١) المصدر السابق : صفحتا ٢٤٢ و ٢٤٣ / ٧ .

(٢) المصدر السابق : صفحة ٤٨٩ / ١٣ .

« كان النبى صلى الله عليه وسلم يسأل ربه أن يريه الجنة والنار فلما كانت ليلة السبت لسبع عشرة خلت من رمضان ، قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا ، وهو نائم فى بيته ظهراً ، أتاه جبريل وميكائيل فقالا : انطلق إلى ما سألت . فانطلقا به إلى ما بين المقام وزمزم ، فأتى بالمعراج[1] ، فإذا هو أحسن شىء منظرا ، فعرجا به إلى السموات فلقى الأنبياء ، وانتهى إلى سدرة المنتهى ، ورأى الجنة والنار ، وفرض عليه الخمس » ويعلق الحافظ على هذه الرواية بقوله : « فلو ثبت هذا لكان ظاهرا فى أنه فى معراج آخر ، لقوله : إنه كان ظهرا ، وإن المعراج كان من مكة .

ويعكر على هذا التعدد قوله : إن الصلوات فرضت حينئذ .

إلا إن حمل على أنه أعيد ذكره تأكيدا .

أو فرع على أن الأول كان مناما ، وهذا يقظة .

أو بالعكس . والله أعلم[2] .

وهكذا يتضح التفاوت الكبير فى الروايات ، وفى آراء الشراح ، ولقد بنى على اختلاف الروايات الشيخ عبدالجليل

---

(١) هو السلم أو المرقاة التى يرتقى عليها .

(٢) المصدر نفسه : صفحة ٢٥٨ / ٧ .

عيسى عضو مجمع البحوث الإسلامية أن الاختلافات الواسعة فى روايات هذا الحديث تجعله لا يدخل فى نطاق الصحيح أو الحسن . وكان هذا الرأى المنشور فى جريدة (الأخبار) القاهرية يوم ٢٣ / ٨ / ١٩٧٤ م ، قد وافقه فيه الدكتور أحمد شلبى فى موسوعته عن التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية [١] .

والذى نراه أن مارجحه الجمهور عن علم هو الأرجح ، وأن الإسراء والمعراج وقعا بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروحه ليلة واحدة فى اليقظة بعد البعثة وقبل الهجرة ، والله تعالى أعلم . ثم يتعين رد الروايات الشاذة ، والترجيح بين الروايات الصحيحة . ولا تقبل الروايات على علاتها ، وسلامة المتن أحد شروط صحة الحديث ، ولذلك قواعده المقررة التى سبق ذكرها فى هذا الكتاب ، فلتستصحب هذه القواعد ، وليرجع إليها .

إن قبول الروايات المختلفة دون تحرى شروط الصحة فيها مثير لإشكالات عديدة نحاول بإذن الله استعراض بعضها فيما يلى ، مع أبرز أقوال العلماء فيها .

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية — مكتبة النهضة المصرية — ط ١١ — ١٩٨٤ م — الجزء الأول — صفحة ٢٤٦ .

آراء العلماء في ثبوت الرؤية في المعراج وبيان الراجح منها

بقيت كلمة أخيرة قبل الفراغ من بحث معراج النبى ﷺ حول خلاف العلماء فى ثبوت رؤية النبى ﷺ لله عز وجل فى هذه الليلة : وموضوع الرؤية طويل ومتشعب يحتاج الى صفحات وصفحات لاستيعاب كل ما قيل فيه ، لكننا نحاول أن نجمل كل ذلك فى ايجاز مفيد غير مخل فنقول :

ان أكثر الذين ينكرون ثبوت الرؤية بالعين يستدلون بما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لمسروق حين سألها : يا أمتاه : هل رأى محمد ﷺ ربه فقالت : لقد قف شعرى مما قلت (١) •

---

(١) روى البخارى فى باب تفسير سورة النجم فقال : قال مسروق : قلت لعائشة : يا أمتاه : هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ؟ فقالت : لقد قف شعرى مما قلت ، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب : من حدثك ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ثم قرأت : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير .. الى آخر الحديث ..

ومنهم من نفى ثبوت الرؤية لأن الفانى لا يستطيع أن يرى الباقى .

ومنهم من توقف لعدم ثبوت دليل قاطع فى هذه المسألة .

وأحسن من رد على نفى السيدة عائشة ثبوت الرؤية هو الامام النووى حيث قال : لم تنف عائشة رضى الله عنها ثبوت الرؤية بحديث مرفوع ولو كان لديها مثل هذا الحديث لذكرته ، وانما اعتمدت فى نفيها على الاستنباط من ظاهر آية : « لاتدركه الأبصار » حيث فهمت منها : أن عدم الادراك يقتضى نفى الرؤية علما بأن المراد من الادراك الاحاطة وعدم الاحاطة لا يستلزم نفى الرؤية .

وأيضا قولها هذا ليس بحجة لأنه خالفها كثير من الصحابة فى هذا الرأى .

والصحابى اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة إتفاقا .

أما من أنكر الرؤية قائلا : لم ير فى الدنيا لأنه

باق ، ولا يرى الباقى بالفانى فقد رد عليه القاضى عياض فقال :

هذا كلام حسن مليح لكن ليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة ، فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده وأقدر على محل أعباء الرؤية لم تمتنع الرؤية فى حقه • ويمكننى أن أزيد على هذا الرد : أن هؤلاء المنكرين لم ينتبهوا الى أن هذه الرؤية التى أثبتها كثير من الصحابة والمحدثين والمفسرين والمتكلمين هى رؤية حدثت فى موقف خاص وفى حالة خاصة ، فالذى أسرى بمحمد ﷺ من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ثم أمر جبريل عليه السلام بأن يعرج به الى السموات العلى ثم يعود به الى المسجد الحرام — كل ذلك يحصل فى جزء من الليل — لم ينتبهوا الى أن الذى قدر على ذلك قادر أيضا على أن يخلق لمن يريد كرامته وتشريفه بصرا وادراكا يرى به سبحانه كما فعل مع حبيبه ومصطفاه محمد ﷺ •

وترجيح القرطبى — كما نقل العينى فى شرحه عنه — رأى القائلين بالوقف فى هذه المسألة لعدم

وجود دليل قاطع فى هذا الباب حيث تعارضت أدلة الطرفين ، وهى غاية ما تفيده بعد التعارض الظن ، وهذه المسألة — كما يقول القرطبى — ليست من العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية ، وانما هى من المعتقدات فلا يكتفى فيها الا بالدليل القاطع .

ما نقله « العينى » من ترجيح «القرطبى» الوقف فى هذه المسألة فى النفس منه شىء ، لأنه لم ينقل الينا أن الايمان بهذه الرؤية من ضمن الأمور التى يجب الايمان بها وهى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حتى تحتاج الرؤية الى حديث قاطع لاثباتها .

ثم ان العقل يجوز وقوعها ، واختلاف العلماء فى وقوعها أو عدم وقوعها ليلة المعراج دليل على أنهم مجمعون على أن الحق سبحانه يجوز أن يرى ، ولولا اتفاقهم على جواز الرؤية لما كان لاختلافهم فيها معنى بل كان عبثا .

ويؤيد جواز وقوعها عقلا طلب موسى عليه السلام رؤية الحق سبحانه وتعالى — وهو نبى مرسل يعلم ما يجب وما يجوز وما يستحيل فى حقه سبحانه ، ولو

لم يكن وقوعها جائزا عقلا لكان سؤال موسى عليه السلام ذلك عبثا والرسل لا يعبثون .

ثم ان الله سبحانه لم ينف جواز وقوعها وانما علقها على أمر ممكن وهو استقرار الجبل فيكون وقوعها ممكنا .

ولقد نقل الينا عن كثيرين جدا من الصحابة والتابعين والمحدثين والمفسرين والمتكلمين ثبوت الرؤية ليلة المعراج بالعين :

فقد روى الطبرى فى الأوسط باسناد قوى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : رأى محمد ﷺ ربه مرتين .

وروى عن ابن عباس أيضا أنه قال : أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد ﷺ :

وابن عباس رضى الله عنهما ترجمان القرآن والاعتماد على قوله أولى .

وروى ابن خزيمة باسناد قوى عن أنس قال : رأى

محمد ربه ، كما أخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير اثبات الرؤية .

وحكى عبد الرازق عن معمر عن الحسن — الحسن البصرى — أنه حلف أن محمدا رأى ربه .

والامام الأشعرى وغالب أتباعه قالوا بثبوتها .

ونقل الامام العينى عن صاحب التحرير اختيار اثبات الرؤية . وعقب على ما نقله عنه بعد ذكر الأدلة التى استند اليها فى اختيار ثبوت الرؤية — عقب على كلامه قائلا : فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعينى رأسه ليلة الاسراء .

الخصائص التى خص بها نبينا

صلى الله عليه وسلم فى ليلة المعراج

الخصائص التى خص بها النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة المعراج كثيرة جدا ، نذكر بعضا منها فيما يلى :

١ ــ موسى عليه السلام حينما كلمه الله تعالى وعده ثلاثين ليلة ثم زاد عشرا فتم ميقات ربه أربعين ليلة • ونبينا ﷺ أرسل الله سبحانه اليه جبريل عليه السلام وعرج به فى نفس الوقت من غير وعد كان يترقبه • وفرق بين من تعلق قلبه بانتظار الميعاد وبين من يصان قلبه عن الانتظار •

٢ ــ موسى عليه السلام أمر بحضور طور سيناء ماشيا ، ونبينا ﷺ أرسل اليه البراق الى المسجد الأقصى ثم المعراج الى سدرة المنتهى ، وليس من حمل راكبا كمن كلف أن يحضر ماشيا •

٣ ــ موسى عليه السلام كلم على الطور ، ونبينا ﷺ نوجى على بساط النور ، فهذا نودى وهذا نوجى

قال تعالى : «**وما كنت بجناب الطور اذ نادينا**(١)» .

وقال فى صفة المصطفى : « **فأوحى الى عبده ما أوحى** (٢) » .

٤ — ما كلم الله تعالى به موسى عليه السلام أطلع عليه نبينا ﷺ فقال : « **وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك** (٣) » . وما ناجى به محمدا ﷺ لم يطلع عليه أحدا .

٥ — موسى عليه السلام لما رجع من المعراج جعلت معجزته فى عصاه . ونبينا ﷺ أكرم ليلة المعراج بالصلاة التى هى محل المناجاة مع الله .

ومن اراد المزيد من الخصائص فليرجع الى كتاب المعراج للقشيرى .

---

(١) الآية ٤٦ من سورة القصص .
(٢) الآية ١٠ من سورة النجم .
(٣) الآية من سورة هود .

ما يستفاد من أحاديث المعراج

فيما سبق ذكرنا بعض ما يستفاد من أحاديث المعراج ، ونذكر هنا بعضا من الفوائد الاخرى فنقول :

ـ يستفاد من قوله : « فاستفتح جبريل •• » أمران :

أولهما : أن أبواب السموات مغلقة لذلك طلب جبريل من الحارس فتح الباب •

ثانيهما : أن العروج كان بالروح والجسد معا ، اذ لو كان بالروح فقط لما كان هناك داع الى طلب فتح الباب ، لأن الأرواح تدخل الاماكن المغلقة من غير فتح أبوابها •

ونستفيد أيضا من فتح باب السماء أن السماء لم تفتح الا لأجله ﷺ تكريما له وتشريفا بخلاف ما لو وجدوه مفتوحا •

لذلك كان اعتناؤه بأمرهم واشفاقه عليهم كما يعتنى من هو منهم •

٢ — ما فائدة معراج النبى — صلى الله عليه وسلم — ؟

أجيب :

بأن فيه فوائد كثيرة جدا منها :

أن كل أمر من الأمور الناقضة للعادة التى رآها فى المعراج يدل على كمال قدرة الله ويوجب له قوة اليقين والمعرفة بالله سبحانه •

ومنها : أن الله تعالى لما طوى له الأرض فأراه مشارقها ومغاربها كذلك أراه الملكوت والسموات •

ومنها ان الملك العظيم اذا اراد تخصيص ولى من أوليائه أشهده من أملاكه ما أخفاه عن غيره ، كذلك الله عز وجل أراد اكرام حبيبه — ومصطفاه — صلى الله عليه وسلم — فأشهده على ملكوته ما لم يشهده غيره تخصيصا له وتشريفا •

ومنها : ان الله عز وجل أشهد حبيبه ومصطفاه السموات والأراضين ومن فيها ليعرفه أنه لا رتبة لأحد فوق رتبته فيكون أبلغ فى باب كرامته •

— يستفاد من لفظ « الى » فى قوله ﷺ: « فأوحى الله الىّ ما أوحى » أن المقصود من لفظ « عبده » فى قوله تعالى : « فأوحى الى عبده ما أوحى (١) » هو رسول الله ﷺ وعلى هذا يكون لفظ « عبد » فى سورة النجم دليلا على أن المعراج كان بالروح والجسد معا (٢) •

— الصلوات الخمس فرضت على الأمة الاسلامية فى هذه الليلة وكان عددها خمسين صلاة ، ثم خففها الله سبحانه الى خمس صلوات فى اليوم والليلة وذلك بعد المراجعة التى قام بها النبى ﷺ طالبا التخفيف ثم بين الله سبحانه لنبينا ﷺ أن الصلوات المفروضة بعد التخفيف خمس فى العمل وخمسون فى الثواب ، لكل صلاة ثواب عشر صلوات •

وفى الغد من ليلة الاسراء أتاه جبريل عليه السلام — كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما — فصلى به الظهر حين مالت الشمس ، ثم صلى به العصر حين

---

(١) الآية ١٠ من سورة النجم

(٢) أى كما هو الحال فى الاسراء : « سبحان الذى اسرى بعبده » •

كان ظله مثله . ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس . ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق . ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر . ثم جاءه في اليوم الثانى فصلى به الظهر حين كان ظله مثله . ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه . ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس . ثم صلى به العشاء حين ذهب ثلث الليل الأول . ثم صلى به الصبح مسفرا غير مشرق ثم قال : يا محمد الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس .

قال ابن بطال : أجمعوا على أن فرض الصلاة كان ليلة الاسراء . وقال جماعة : لم تكن صلاة مفروضة قبلها الا ما كان أمر به النبى ﷺ من قيام الليل من غير تحديد ركعات ووقت حضور . وكان يقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه .

وقالوا أيضا : كان قبل فرضها يصلى ركعتين صباحا وركعتين مساء .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذى تتم بفضله الصالحات ، و الصلاة و السلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمداً وعلى آله و أصحابه و أحبابه و التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيـد الله سـبحانه وتعـالى جميع الرسل بالمعجزات الكثيرة و المتنوعة ولكنه أفرد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم بمعجزة الإسراء و المعراج وهى معجزة عظيمة وفريدة ، فلقد قربه سـبحانه وتعالى حيث دنا وتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى . وتناول هذا البحث المعجزة من جوانب شـتى ، وتـم تقسـيمه إلى ثلاثة أقسام ، جاء فى القسم الأول : الأحداث قبل الإسراء و المعراج ، ومعجـزة الإسـراء كمـا وردت فى الكـتب الصحاح وغيرها ، ثم القسم الثانى جاء فيه : الحديث التربوى للإمام الأكبر الشيخ شلتوت ، و التساؤلات عن الإسراء هل هو بالروح أم بالروح و الجسد ، ثم بيان الحقيقة فى ذلك ، و أوصاف البراق .

أمـا القسـم الـثالث فقد اشتمل على : العرقى أن المعراج ليلاً ، وبعض العجائب التى رآها الحـبيب فى رحـلة المعراج وكيفية فرض الصلاة ن ورؤية البارئ عز وجل و آراء العلماء فيها ، وبعض الفوائد من هذه الرحلة العظيمة .

وفى الختام أتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالحمد و الثناء الجميل على ما هدانى إليه ، فإن وفقت فمنه وحده ، وله الفضل و المنة و إن أخطأت فمن نفسى ، استغفر لها ربى وما أبرئها ، إن النفس لأمارة بالسوء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الدكتور

السيد عبد الحليم عبد العال

كفر المصيلحة – منوفية

قائمـــة المراجــــع

القرآن الكريم - الكتب الصحاح

★ أولا : الكتب والمجلدات :

١ ــ **محمد ناصر الدين الألبانى** : (الفتح الكبير ــ صحيح الجامع الصغير وزيادته) ــ المكتب الإسلامى ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ــ ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

٢ ــ **دكتور / محمد سعيد رمضان البوطى** : (فقه السيرة) ــ دار الفكر ــ بيروت ــ الطبعة السابعة ــ ١٣٩٨ هـ ــ / ١٩٧٨م .

٣ ــ **علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندى البرهان فورى** : (كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال) ــ ضبطه وفسرغريبه الشيخ بكرى حيانى ، وصححه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ صفوت السقا ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الخامسة ــ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

٤ ــ **محمود أبو رية** : (أضواء على السنة المحمدية ــ أو دفاع

عن الحديث) ــ دار المعارف بمصر ــ الطبعة الرابعة ــ ١٩٧٦ م

٥ ــ **أبو زكريا محيى الدين بن شرف النووى** : (شرح صحيح مسلم) ــ دار الفتح الإسلامى بالاسكندرية / المكتب الثقافى بالقاهرة ــ بدون تاريخ .

٦ ــ **د . أحمد عمر هاشم** : (السنة النبوية وعلومها ــ دراسة تحليلية للسنة النبوية وعلومها ودفاع عن السنة ورد لشبهات المستشرقين وأعداء الإسلام) ــ الفتح للإعلام العربى ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى ١٩٨٥م .

٧ ــ **محمد ناصر الدين الألبانى** : (تخريج أحاديث شرح العقيدة الطحاوية) ــ المكتب الإسلامى ــ بيروت ــ الطبعة الثامنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م .

٨ ــ **أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير** : (تفسير القرآن العظيم) ــ دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م .

٩ ــ **عبد الله حجاج** : (الإسراء والمعراج ــ مجردا ومرتبا أحاديثه من فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى) ــ مكتبة التراث الإسلامى ــ القاهرة ــ ١٩٨٤ م .

١٠ ــ أحمد بن على بن حجر العسقلانى : (فتح البارى بشرح صحيح الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى) ــ تحقيق محب الدين الخطيب ــ دار الريان للتراث / المكتبة السلفية ــ القاهرة ــ الطبعة الثالثة ــ ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م .

١١ ــ محمد متولى الشعراوى : (معجزة القرآن) ــ الجزء الثانى ــ سلسلة كتاب اليوم ــ مؤسسة أخبار اليوم ــ القاهرة ــ ١٩٨٠ م .

١٢ ــ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى : (صحيح البخارى ــ بشرح السندى) ــ دار إحياء الكتب العربية ــ القاهرة ــ بدون تاريخ .

١٣ ــ شمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية : (زاد المعاد فى هدى خير العباد) ــ تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ــ مؤسسة الرسالة (بيروت) / مكتبة المنار الإسلامية (الكويت) ــ الطبعة الثامنة ــ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

١٤ ــ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى : (الآية الكبرى فى شرح قصة الإسراء) ــ تحقيق محيى الدين مستو ــ دار ابن كثير (دمشق) / مكتبة دار التراث (المدينة المنورة) ــ الطبعة الثانية ــ ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م .

١٥ ـــ **أبو إسحاق النعمانى** : (السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج) ـــ تحقيق عبد القادر أحمد عطا ـــ مكتبة القرآن ـــ القاهرة ـــ بدون تاريخ .

١٦ ـــ **د . أحمد شلبى** : (موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية) ـــ مكتبة النهضة المصرية ـــ القاهرة ـــ الطبعة الحادية عشرة ـــ ١٩٨٤ م .

١٧ ـــ **عبد الحميد جودة السحار** : (الإسراء والمعراج) ـــ مكتبة مصر ـــ القاهرة ـــ بدون تاريخ .

١٨ ـــ **سيد قطب** : (فى ظلال القرآن) ـــ دار الشروق ـــ القاهرة / بيروت ـــ الطبعة التاسعة ١٩٨٠ م .

١٩ ـــ **محمد متولى الشعراوى** : (المعجزة الكبرى : الإسراء والمعراج) ـــ سلسلة مكتبة الشعراوى ـــ مؤسسة أخبار اليوم ـــ القاهرة ـــ ١٩٩٠ م .

٢٠ ـــ **محمد الغزالى** : (فقه السيرة) ـــ دار الريان للتراث ـــ القاهرة ـــ الطبعة الأولى ـــ ١٩٨٧ م .

٢١ ـــ **محمد ناصر الدين الألبانى** : (سلسلة الأحاديث الصحيحة وشىء من فقهها) ـــ المكتب الإسلامى ـــ بيروت ـــ بدون تاريخ .

٢٢ ـــ **محمد ناصر الدين الألبانى** : (دفاع عن الحديث

النبوى والسيرة ـــ فى الرد على جهالات الدكتور البوطى فى كتابه فقه السيرة) ـــ دار الأرقم ـــ مصر ـــ بدون تاريخ .

٢٣ ـــ **خير الدين الزركلى** : (الأعلام ـــ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) ـــ دار العلم للملايين ـــ بيروت ـــ الطبعة الخامسة ـــ ١٩٨٠ م .

٢٤ ـــ **أبو محمد عبد الملك بن هشام** : (سيرة النبى صلى الله عليه وسلم شرح محمد محيى الدين عبد الحميد ـــ دار الهداية ـــ القاهرة ـــ بدون تاريخ .

٢٥ ـــ **سعيد محمد حسن** :(حقائق الإسراء والمعراج) ـــ مؤسسة روز اليوسف ـــ القاهرة ـــ ١٩٧٦ م .

٢٦ ـــ **أبو بكر ابن العربى محمد بن عبد الله** : (أحكام القرآن) ـــ دار الجيل ـــ بيروت ـــ ١٩٨٧ م .

٢٧ ـــ **أبو عبد الله القرطبى محمد بن أحمد بن أبى بكر** : (الجامع لأحكام القرآن)ـــ دار الغد العربى ـــ القاهرة ـــ ١٩٩٠ م .

٢٨ ـــ **أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير** : (البداية والنهاية)ـــ تحقيق : د : أحمد أبو ملحم ، ود : على نجيب ، وفؤاد السيد ، ومهدى ناصر الدين ، وعلى عبد الساتر ـــ دار

الكتب العلمية ـــ القاهرة ـــ الطبعة الأولى ـــ ١٩٨٥ م .

٢٩ ـــ **محمد أمين جبر** : (الإسراء والمعراج : قراءة وثيقة ورؤيا جديدة) ـــ القاهرة ـــ ١٩٨٤ م .

٣٠ ـــ **محمد فهمى عبد الوهاب** : (أسرار الإسراء والمعراج جسدا وروحا) ـــ دار الاعتصام ـــ القاهرة ـــ ١٩٧٩ م .

٣١ ـــ **أبو القاسم عبد الكريم القشيرى** : (لطائف الإشارات : تفسير صوفى كامل للقرآن الكريم) ـــ تحقيق د . إبراهيم بسيونى ـــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـــ القاهرة ـــ طبعة ثانية ـــ ١٩٨٠ م .

★ ★ ★

★ ثانيا : المقالات والدوريات :

١ ـــ **د . على حسن عبد القادر** : (المعراج وأثره فى الأدب الرمزى) ـــ مقال بملحق مجلة (منبر الإسلام) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ـــ العدد ـــ ٧ ـــ السنة ٢٥ ـــ رجب ١٣٨٧ هـ / أكتوبر ١٩٦٧ م .

٢ ـــ **محمد محمد السباعى الديب** : مقال بملحق مجلة منبر

الإسلام ــ عدد رجب ١٣٨٧ هـ / أكتوبر ١٩٦٧ م .

٣ ــ **الشيخ الطنطاوى أحمد عمر**: مقال بملحق مجلة (منبر الإسلام) ــ عدد رجب ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

٤ ــ **الشيخ محمود وفا هاشم** : (رحلة إلى السماء) مقال بملحق مجلة منبر الإسلام ــ عدد رجب ١٣٨٧ هـ / أكتوبر ١٩٦٧ م .

٥ ــ **أحمد بهجت** : (صندوق الدنيا) ــ باب يومى بجريدة الأهرام القاهرية ــ يوم ٢٢ فبراير ١٩٩٠ م .

٦ ــ **الشيخ على فريج حسنين** : (الآية العظمى فى الإسراء والمعراج) ــ مقال بملحق مجلة (منبر الإسلام) ــ عدد رجب ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

٧ ــ **عبد المعطى عبادة** : (بين الإسراء المعراج ومنطق العلم الحديث) ــ مقال بملحق مجلة (منبر الإسلام) ــ عدد رجب ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

٨ ــ **الشيخ عبد الحسيب طه** : مقال بملحق مجلة (منبر الإسلام) ــ عدد رجب ١٣٨٧ هـ / أكتوبر ١٩٦٧ م .

٩ ــ **الشيخ عبد الحميد بلبع** : مقال بملحق مجلة (منبر الإسلام) ــ عدد رجب ١٣٩٢ هـ / أغسطس ١٩٧٢ م .

ثالثاً : منقولات من بعض الكتب كما هى :-

١ – السيرة النبوية – إبن هشام – دار الهداية – القاهرة – بدون
١ – الإعلام – خير الدين الزركلى – دار العلم للملايين – بيروت ، ط ٥ ، ١٩٨٠ م .
٣ – الإسراء و المعراج – أبو المجد حرك ، الدار المصرية اللبنانية ، ط ١ ، ١٩٩١ م .
٤ – شرح معجزات الأنبياء و المرسلين ، الشيخ محمد متولى الشعراوى ، دار مايو الوطنية للنشر ، بدون .
٥ – البراق – أحمد بهجت ، الزهراء للإعلام العربى – مدينة نصر ١٩٨٩ م .
٦ – الإسراء و المعراج – رزق هيبة ، المركز العربى الحديث ، القاهرة ، بدون .
٧ – الإسراء و المعراج ، الشيخ عبد الحليم محمود دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٦ م .
٨ – السراج الوهاج فى الإسراء و المعراج – أبى إسحاق النعمانى – تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، بدون .

تم بحمد الله هذا العمل خالصاً لله تعالى

و أرجو الله سبحانه وتعالى أن ينتفع به المسلمين فى كل مكان

" يسمح بطبعه ونشره "

الفهـــرس